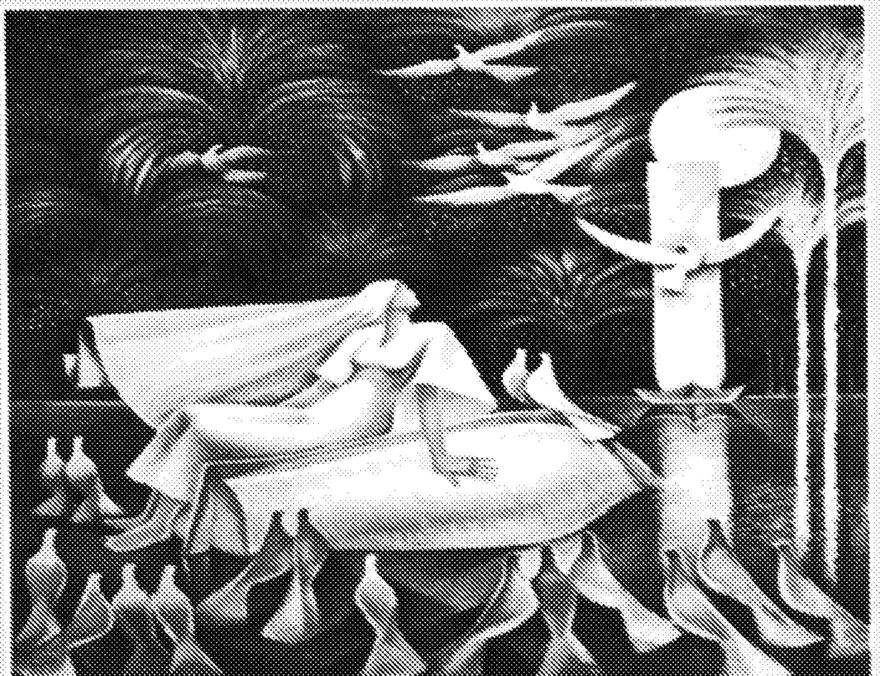


قصص



عندما تكلم راوية

عصام الصاوى

أول الكلمـــات

بعدما تقدم العمر رحت أرقب الناس حولى. وجدتهم صغار السن يعيشون عمرا عشته قبلهم. رأيت أيديهم تماسكت ونظراتهم تشابكت فى أحلام وردية يحلمون بها معا. نعم كنت مثلهم من سنوات لاأستطيع عدها، ولكنى فعلت ذلك مرارا. حاولت دوما أن أنسج مستقبلا قادما، ولكن لم أعش مااخترت، وكان نصيبى ما قسم لى.

الكاتب

إهـــــداء

إلى أحبابى الذين ملأوا الدنيا حولى نورا وزهورا وأملا، فأبدلوا حياتى بأخرى أكثر إشراقا وبهجة وروعة.

عصـــام الصـــاوى

وأنـــــــا شـــــــاهد

كنت أقود سيارتى بشارع رمسيس أكثر شوارع القاهرة ازدحاما ،عندما جذب نظرى شاب وفتاة يجلسان فى المقعد الخلفى لسيارة أجرة.
كانت رأساهما متقاربتين للغاية بشكل ملفت للنظر ، ومثير أيضا. علقت عيناى بهما بينما كان الطريق متوقفا ، وشمـــس يوليو متعامدة تماما ، فى الوقت الذى كنت فيه متأخرا عن موعدى وقد نفدت سجائرى وصبرى معا.

ابتسمت عندما تباعدت الرأسان ثم اقتربت ثانية ، وتعجبت من الذين يتبادلون الحب والغرام فى اللهيب الحارق وسط الزحام غير آبهين بمن حولهم . انخفضت رأس الفتى ثم اختفت كأنه وضعها فوق صدرها ، ولم يلبث أن رفعها مرّة أخرى ، ثم تبادلا الوضع بعد قليل .
أثارني ذلك للغاية خاصة وأن السائق لم يعتن أن ينظر فى المرآة الداخلية ، وهذا شئ يحدث كثيرا عندما نراقب الطريق خلفنا أثناء القيادة.
السائق البليد أثارني أكثر. مددت يدى وضغطت على آلة التنبيه فى احتجاج واضح على ما يحدث ، ولم يهتم أحد على الإطلاق ، لا السائرون ولا الراكبون.

أنبتني زوجتى على ما أفعله ، وقالت دع الخلق للخالق ، هناك آخرون مثلنا يرون ولا يتدخلون ، وأنت تجذب إلى نفسك المتاعب . وقبل أن تنهى موعظتها السخيفة انخفضت الرأسان معا إلى أسفل واختفى المنظر كله من أمامى ، فتساءلت إذا ما كان الذى يحدث أمامنا طبيعى..؟ وانطلقت شياطينى تلعن من حولى ، هل تحولوا جميعا إلى أصنام بلا عيون ؟ ثم هذا السائق الذى نسى قرنيه فى البيت قبل أن ينزل إلى العمل.

نسيت الحر والزحام ، وقررت أن أضع حدا للمهزلة التى تحدث. ارتفعت الرأسان ثانية متقاربة متلاصقة ، وزاد على ذلك ذراع الرجل يحيط بها الفتاة ، يجذبها إليه فى صفاقة مطلقة.

مستعينا بمهارتى فى القيادة وآلة التنبيه ، والإشارات الضوئية مع يدى ، جاهدت مستميتا وسط الزحام حتى استطعت النفاذ لأجاور سيارة الأجرة إياها ذات السائق العجيب وزبائنه المحترمين.

كادت عينى تخرج من مكانها قافزة إلى الكرسى الخلفى لأتحقق من الفجور. صعقت ، أو كأنى سقطت فى ماء مثلج ، وغمرنى الخجل والندم و تأنيب الضمير. رأيت الرجل يحتضن المرأة بقوة ، ويده الأخرى تزيح الشعر فوق جبهتها وتمسح عنها العرق وكانت مستسلمة مغمضة العينين، تضع يدها فوق بطنها المنتفخة ، والأخرى فوق فمها تكتم صرخاتها.

مستعينا بمهارتى فى القيادة، وآلة التنبيه، و الإشارات الضوئية مع يدى ، جاهدت مستميتا وسط الزحام حتى استطعت النفاذ لأوسع الطريق لمولود قادم جديد ، ربما كان رقمه فى تعداد مصر ستين مليون و واحد.. و أنا شاهد.

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

آنســــــــــت

لفت نظرى أنها تتمتم ولا تكلم أحدا معها . بحثت عينى ربما كان بالقرب منها طفل تحادثه ولكنها كانت وحدها.رأيت تمتمات السيدة منتظمة وتوقعت أنها تتلو بعض القرآن. قسماتها لم تكن توحى بذلك ، فكانت ملامحها تتقلص وتنبسط ، ثم تقطب فى غيظ وتنفخ الهواء زفرات حارة ويدها تعبر عن بعض الكلمات.اكتشفت أنها تدير حوارا مع نفسها ، فأثارت عجبى وأحببت أن أسمع ما تتمتم به ، واستطالت أذنى تجاهها وتمددت ثم دخلت إليها فى خلوتها تلتقط الكلمات.

- فريدة السمينة حقيبة نقود متنقلة ولا تدرى ماذا يليق لها.الفستان الذى اشترته ودفعت فيه مئات الجنيهات رائع ولكن على غيرها ، ثم وجهت الكلام إلى السمينة التى تعنيها.
- طبعا أنت لا تدركى أن هذا " الموديل " لا يليق عليك ، هو رائع على أى واحدة أخرى قوامها أرشق ولونها أفتح. أنت سمراء ، ألا تعرفى أنك سمراء؟
- أنا أعرف قدرى وجسمى وألوانى وأحترم عمرى.
- طبعا... أنا أصغر منك عشر سنوات على الأقل.
- لا... صحتى كالحديد وجسمى لم يترهل بعد ، ودورتى مازالت منتظمة.
- أنت محتاجة " لرجيم " فعال وإرادة قوية ، وممارسة للرياضة ثلاث ساعات يوميا، حتى تكونى فى قوامى.
- صحيح يعطى الحلق ... لو كان عندى ربع ما عندك لتغيرت حياتى.
- آه ياأمى لو تعلمى ما يحدث.
- البنت الصغيرة العاملة بمحل الخردوات المجاور..! البنت " سفروتة " شعرها مفلفل ، وعيناها ضيقة ثعلبية ، وليس لها من الأنوثة نصيب ، ربما علامات بسيطة تعلن أنها فتاة وليست ولدا. ماذا أعجبه فيها؟ لحست عقله..! الآن عرفت لماذا لايرى الأشياء ولا يحسها ، لا يرى نظافة بيتى " وطعامة " ما أقدمه له ولا يحس نعومة يدى ورقبتى. الآن أفهم لماذا يظل بسيونى ساهرا وحده فى الشرفة ولا ينادينى . لابد أنه ينظم أفكاره كى يستطيع الفرار.
- أولادنا احتفلوا بعيد زواجنا الثلاثين ، حضروا ومعهم أولادهم وملأوا الشقة صخبا وضجيجا وضحكات ، كلنا كنا نضحك.
- بسيونى كان يبتسم فقط ، يبدو أنه شبع احتفالات. يراهق ثانية قبل أن يخرج إلى المعاش،باق له سنة ونصف فقط ، وربما ما يحدث هو توهج الشمعة قبل أن تنطفئ.
- ألا يكفى أن تحملته كل هذه السنوات..؟ آه ياأمى.

التفتت السيدة نحوى وأنا أتابع كلماتها وكأنها لا ترانى ، وفى عصبية وتلقائية ابتسمت لنفسها وقالت.. تماضر السمينة اشترت فستان دفعت من أجله مقدار ما أدفعه ثمنا لكل كسوة الصيف. لن يليق عليها لا الفستان ولا أى شئ آخر..ماذا تفعل الماشطة.؟

- بسيونى بعدما قاربنا نهاية المشوار، عينيه زاغتا على بائعة محل الخردوات نسى نفسه ونسينى أنا والأولاد .اعتقد أن الدنيا كلها هى الإبرة السوداء التى لا تساوى ثمن ملابسها.
- الدنيا حر أليس كذلك؟

أصوات غريبة صدمت طبلة أذنى ، سعال وكحة شديدة . آه.. إنها تصدر هذه الأصوات وتفرغها فى أذنى عقابا على تصنتى.

- نعم .. زوجة أحمد ابنى لا تستحقه ، هو مهندس شاطر لا يتأخر عن احتياجات بيته وأولاده وهى لا تكف عن الطلبات. بلاعة أشياء لا تفرغ ولا تشبع أبدا. فى منتصف الشهر يأتى أحمد يقترض النقود من أجلها ولا يردها.
- نعم أنا أعطيه. أريده هانئا سعيدا ولا تهم النقود ، ماذا سأفعل بها ، أنا لا ينقصنى شئ.
- ولكنى لا أحب زوجة أحمد ، ومصطفى زوج سوزان لا أحبه أيضا فهو يرهقها دائما بكثرة الطلبات والاحتياجات. ضيوفه كثيرون وأعمال البيت لا انتهى ، ولا يرحمها ولا يطيق أن يكون بالبيت خادمة . يريدها أن تفعل كل شئ بنفسها حتى انطفأت ابتسامتها وحيويتها وزاد عمرها عشر سنوات على الأقل ، بعدما كانت لا ترفع الوردة إذا سقطت على الأرض فى بيتى . أرأيت كيف يظلم الناس؟
- أمس جاءتنى مكالمة بعد منتصف الليل من شاب يعاكس بالتليفون ويتسلى ، قال إن اسمه وائل ولم يوقف الحديث حتى بعد أن علم أنى ربما أكبر من أمه ، بل ازداد فى معاكسته. هو لطيف ولم يكن صفيقا ولا لزجا . تسليت بعض الوقت ولن يستطيع أن يحادثنى مرة أخرى ، فقد تصادف رقم تليفونى قريبا من الرقم الذى يريده ، ولن يقدر أن يعاود ذلك ثانية. تمنيت بعد أن انتهت المكالمة لو أنه طلب منى رقم التليفون.
- كيف أمنع بسيونى من ملاحقة الإبرة السوداء ؟ وكيف أوقف مصطفى زوج سوزان عن إرهاقها؟ وكيف أجعل زوجة أحمد تقتنع بما هى فيه ؟ وكيف أهدأ أنـــا...؟
- أحمد وسوزان كيف أجعلهم يساعدوننى لكى يفيق بسيونى مما هو فيه ؟
- جارتى ليلى لا تكف عن الطلبات ، شاى وبن وملح وسكر ، وكل ما تحتاجه أثناء وجودها بالمطبخ ولا ترد شيئا مما تأخذه. أمس طلبت عشرة جنيهات أعطيتها لها ، وأتوقع ألا تعيدها كما تفعل دائما. أحسست عندما كنت أناولها إياها أنى كالعبيطة. كيف أصرفها دون أن أحقق لها ما تطلبه منى؟ أخجل أن أطلب أشيائى منها.

- تماضر السمينة رقيقة طيبة ، لكن ذوقها متدنى جدا ، تظن أنها أجمل الجميلات. أين هى منى ؟ لا أعرف كيف أوقفها عند حدها.

* * *

لــــو كانت هذه السيدة الجميلة زوجتى..! ما كنت أفعل مثلما يفعل بسيونى . يدور على المحلات والدكاكين يناور ويصطاد البائعات ، يمارس غريزة الصياد فيه ويختبرها ، ربما وجدها لازالت تعمل ، فيرضى غروره أنه مازال مطلوبا فى سوق الرجال.
زوجتى أيضا سمينة ، لا تعرف كيف ترتدى الملابس ، ولا كيف تضع" المكياج"، وتصرف كل النقود ، مثل صديقتك التى تحكين عنها ، لكن زوجتى ليس اسمها تماضر بل مفيدة ، وأنا أراها غير ذلك بعد أن أصبحت بعيدة وشغلت نفسها بأزواج الأولاد مثلك ، ونسيتنى وأحتاج لمن يهتم بى قليلا.
جيرانى هؤلاء المتكبرون يلقون السلام بسرعة ويمضون دون أن ينظروا فى عينى . أنا لا أحتاج لأحد منهم ولكن قليل من الاهتمام يكفى .
أولادى أيضا مثل الآخرين فى دنياهم ، لا يسألون عنى إلا قليلا عندما يحتاجون للنقود أو لمن يحل مشاكلهم ، فيأتون يفرغون شحنات غضبهم وحزنهم وبعد أن يحملوننى الهموم ينصرفون.
الأسعار أصبحت نار ، والإيراد الشهرى لا يكفى للاحتياجات وطلبات الأولاد ، لكن ذلك لا يهم كثيرا ، فماذا أفعل بالنقود ؟ إنى أعطيها لهم يحلون بها مشاكل مصروفاتهم.

- متاعب الروماتيزم وآلآم المعدة وضغط الدم ، تعالجها مجموعة من الأقراص أبتلعها كلها دفعة واحدة كل يوم بعد كل وجبة حتى مللت ، لكن غيرى يشكو أشياء أخرى أصعب ، الحمد لله .

* * *

- طبعا لم يكن لى مغامرات أبدا ولكن كان هناك المعجبون دائما ، مثلك يتطفلون ويحاولون أن يتلمسوا طريقا إلىّ. أعرف أنى جميلة وأدرك أيضا أنك تروم مقابلة أخرى ، ولكن لا أظن ذلك سوف يحدث.
- لا ... لست زير نساء ، بل أحب أن أنظر وأتحدث فقط.
- لا أمارس الرذيلة ولا أخطئ.
- آه ... الصياد داخلى توقف من زمن بعيد عندما انصرفت مفيدة عنى للأولاد ، ولم أعد فى حاجة كثيرة إليها . الآن قانع بما أنا فيه.
- الحديث معك ممتع ، هل أستطيع أن أراك قريبا ؟ ليت ذلك يحدث.
- الليل طويل وسخيف . ليالى الشتاء أرحم . أدخل السرير والدفء يجعلنى أغرق فى النوم فورا لا آرق. فى الصيف فقط يزورنى السهد ويجعلنى أعيد شريط الذكريات مرات كثيرة.
- لا.. ، لم يكن هناك كثيرات فى حياتى ، زوجتى وخطيبة قبلها فقط ، ثم مغامرات قليلة صغيرة عندما كنت فى مطلع الشباب . أقلعت عن كل ذلك واكتفيت بمفيدة رغم عيوبها.

- كلهم يتركون المكاتب ويزوغون كثيرا ،ويرمون المسؤولية فوق أكتافى ، ليتسلقوا أكتاف الآخرين، ويتحدثون كثيرا ويغتابون الناس فى كل دقيقة.
- الآن لا أراك سخيفا جدا ، أستطيع أن أحكى لك أشياء أخرى ولكن لن تهمك.
- صعبت علىّ . حالك مثل حالى والدنيا هكذا على الجميع كما يبدو.
- هل ستأتى فى الغد ؟ إنى أجلس هنا دائما .

* * *

أحسست بالعطش ومددت يدى نحو الكوب ورأيت ورقة من الشجرة سقطت فيه فأعدته مكانه وتلفت حولى فوجدت الكرسى وقد تركته السيدة الجميلة الوقور التى تعانى الوحدة وناسها حولها ، واكتشفت أنى وحيد أيضا ، وسيطرت علىّ صورة السيدة فى جلستها القريبة تحت الشجرة عندما كانت تدير حوارا مع نفسها ، وموقفها من تماضر صديقتهـــا وأولادها أحمد وسوزان وأزواجهما ومعاناتها مع جارتـــها الطماعة دائما ، وبسيونى ذو العيـــن الفارغة ومغامرتـــه مع الفتاة الرفيعة السمراء التى أسمتها الإبرة السوداء.
وجدتنى أقارن حياة السيدة بحياتى ومعاناتى وسط أولادى وزوجتى وجيرانى وزملائى ، واكتشفت أنى باستمرار أقضى وقتى منفردا تقريبا ، وفكرت أنه لابد أن أنشغل بشئ حتى لا أصبح مثلها وأكلم نفسى، ويتسمع منى الناس أفكارى التى أجترها وحدى.

ذات ليلة عندما كانت مفيدة تضع صينية القهوة فوق الطاولة ، قالت متسائلة ماذا تقصد بالإبرة السوداء ؟ ارتفع حاجباى فى دهشة شديدة عندما قالت هذه الكلمات . قلت متسائلا أنا الآخر .. الإبرة السوداء ..! ماذا تعنى ..؟ قالت .. دخلت إليك وسمعتك تقول هذه العبارة.
سكت مدهوشا وتعلقت عيناى بها ..! أكملت مفيدة قائلة .. منذ أيام لاحظت أنك تكلم نفسك عندما تكون وحيدا ، وهذا شئ جديد جد عليك ، هل ترى ذلك مريحا ؟
قلت مستنكرا حديثها .. أنـــا..؟! وقفزت ساعتها إلى خاطرى صورة السيدة الجميلة الوقور فى جلستها تحت الشجرة ، وقلت لنفسى يـــــا...سلام... أهـــــلاً.

* * *

ليلـــــة والســــــلام

الناس كثيرون يتحركون هنا وهناك ، يتبادلون الأحاديث والابتسامات ، شئ ما اقتسم الحاضرين إلى جانبين ، جانب تجمع فيه أهلها والأصدقاء ، والآخر فيه أقارب العريس ومعارفهم.والجميع متصلبون جامدون يتعاملون فى تكلف وحذر.

طقوس لابد من ممارستها فى أفراح الزواج المصرية ، عندما يقدم العريس هدية الشبكة إلى عروسه متعمدا الإبطاء لتظهر كل الصور جميلة ،ثم تبادل كئوس الشربات مع تعليقات كلها تحاول جذب الابتسامات.

ارتاحت الأعصاب قليلا عندما بدأت الموسيقى خفيفة لتطغى على طنين الكلام الذى يقولون، وارتاحت أكثر لما تحولت النغمات وظهر فيها "الربع تون" ينبئ بأن الألحان ستكون شرقية كما يحبون. قفز إلى منتصف القاعة المطرب الجديد. دارت عيناه وألم بالموقف ، وفهم وهز رأسه تأكيدا لما أدركه ووافقه العازفون ، وبدأ بأغنية خفيفة اجتذبت الصغار حوله يرقصون.

فجأة غير المطــرب الأغنية الناعمة ، فكانت التالية قوية راقصة ، يسمع دوى الطبل فيها على نغمة الملفوف. انحل قليلا تصلب البعض، وآخرون تشجعــوا وقاموا يرقصون ، وكانوا من الشباب ، استعرضوا قدراتهم على الحركة والتنطيط ، وأثبتوا للجميع أن سيقانهم وفقرات ظهورهم سليمة قوية، وانضمت الفتيات لتكبر الحلقة حول المطرب الشقى ، وجذبوا معهم العريس والعروس.

الكبار.. عواجيز الفرح تأففوا من الصوت العالى ورقص الشباب، ومع ذلك اهتزت أرجل البعض تدق الأرض مع الواحدة أو يصفقون ،وكنت معهم.

أكابر الناس كانوا هناك ، نائب المحافظ ومدير الأمن ورئيس الهيئة ، وآخرون من علية القوم. فى البدايـــة كانوا متماسكين ،ولكن ذلك المطرب الشرير غير ثانية نغمة ما يؤديه ، وقال أحلى ما عنده على أجمل النغمات التى كان لها الأثر الساحر فى النفوس.
الرجل الكبير قام غير آبه بالرسميات ودخل الحلقة معهم. فى البداية كان يصفق ، وقبل النهاية كان فى وسطها يهتز مع الجميع فى نشوة وانطلاق ، كما لو كانت دقات الطبلة والدفوف فى نغمات الزار المصرى ، فشجت الكل واجتذبتهم وأصبح الجميع يترنحون رقصا.

تغير اللحن للمرّة الثالثة ، وكانت النفـــوس قد انبسطت وذاب الجليـــد وذهب التصلب بعيدا ، وانضم الكثيرون يهتزون مع النغمات ، الشيـــوخ مع الشباب وتسرب إلى الحلقـــة بعض الزوجات،والجميع يرقصون ويتراقصون، وقد خفت الموسيقى من العقول ، فانطلقوا على سجيتهم يمارسون فرحهم ببساطة.
رأيت نائب المحافظ ومدير الأمن ومدير الشركة والآخرين يهتـــزون برؤوس فضية أو لامعـــة ، وزوجاتهم يتمايلن فى رقة ونعومة وحيوية فائقـــة أثارت الجميع ، حتى أن الشباب ابتعد قليلا ليشاهد الوقار الراقص.

السيدة السمينة التى كانت تجلس إلى جوارى ، وكزتنى فى جنبى ، ووجهت لى الكلام قائلة لسنا أقل منهم ، وقد لا نجد فى أنفسنـــا القدرة الآن ، ولكن بعد قليل سنكون مثلهم " قوم يا شيخ ". نظرت إليها متعجبا رافضا فى صمت بينما كنت أصفق على الواحدة وقدمى تدق الأرض فى نشوة.

اقتربت الصغيـــرة تتمايل تجذبـــنى من يدى أن أشاركها. حاولت أن أرفض ، ولكن رفضت هى ولم تترك يدى إلا وســـط الحلقة ، وتمايلت مع الجميـــع. رأيت السيدة السمينة تركز عينيها علىّ وترسل نظرات حارقة ، وتشير لى أن أعود لأجلس بجوارها. رفضت العودة بالطبع فسوف أستمتع باللحظة الآن ، ثم عندما تنتهى فليكن ما يكون. وتركتها تتميز غيظا منى ومن كل الراقصين. لقد كانت زوجتى بالطبع.

* * *

متسائلة العينين

لما رفعت رأسى أرقب ما حولى فى الحديقة ، أوقفتنى عيناها المتسائلتين ، ثم لم أتمالك نفسى مدهوشا من روعة الجمال ، فإنه لا بد أن تتوارى أمامها العيون ذات المروج الخضر والأخرى التى لها عمق البحور .كانت عيناها مصرية حوراء ، تحرسها صفوف من رموش . شعراء العرب قالوا فى العيون كلاما لا يرقى إلى عينيها والرموش . تحفه نادرة للجمال . كانت اللحظة طويلة ، طولها عمر كثير .

تساؤلـــها حيرنى ، عم تسألنى ؟ أنا إنسان وحيد ، عندى أمس واليوم . مفلس ولى شارب وإدراك . أمسى مضى وراح وانتهى فرحى به وندمى عليه وارتعاشاتى فيه . يومى أشعلت فيه لفائف التبـــغ وتناولت الطعام والشاى . أروح عن نفسى هموم غد أتوقعه. عمرى أيام هنيـــة ، وسنوات شقاء طويلة . أصدقائـــى وأهلى يروحون ويعودون أو يروحون للنهاية .

علامة استفهام كبيرة ارتسمت أمامى . من تكون ؟ ولماذا أنا والخلق كثير ؟ أنا لا أتميز عن غيرى . لابد أنـــها رأت أنى جميل أو أنيق ، ربما توسمت أن أكون فارس أحلامها . لا .. أعرف نفسى جيدا ، فأنا بسيط ملابسى بسيطة ، ومظهرى لا يلفت النظر ، مثل عشرات من البشر حولى كلهم طوال لهم بشرة سمراء وشعر أسود مجعد. هل حل يوم سعدى ؟ إذن هكذا يبدأ الحب .

صامتة كانت ، تروح نظرتـــها بعيدا ثم تطرق وترفع إلىّ عينين متسائلتين بالغتى الجمال . تتساءل ولا تجيب . سحرتنى عيناك ، أين كنت من سنوات كثيرة . ربما كان غير ما كان . تعالى ، ليكن لنـــا اليوم والغد . لا نحتاج للأمس فقد تخلى عنا ، ولا نريده . أحلم ، ليكن كوخا أو قصرا ، لا أملك العالم لأضعه بين يديك . سأهبك السعادة قدر ما أستطيع . كيف ؟ لا أدرى ، سأحاول جاهدا .

من أنا .. ؟ لست متزوجا . أنا حر من البداية . عقلى ويومى ومالى ملكى . أحب الحياة والجمال . أحببت عينيك الحوراء التى لم تكل السؤال . سأظل إلى جوارك حتى نـــهاية العالم . نعم لك أجمل العيون ، ليس لـــها شبيه ، ولن يكون . لا بل ستكون طفلتنا لـــها نفس العينين . ستكون سيئة الحظ لو ورثت ملامحى . ليس هناك أجمل من الحلال والنقاء .

طفلة أقبلت تجرى ثم توقفت أمام فاتنتى وأخذت الكرة . استدارت لتنطلق . سقطت كرتـــها وتدحرجت ، تناولتها أنوى أن أداعبها . سارت إلى مادة يدها ، ورفعت إلى عينين متسائلتين فغمرنى عرق بارد .أعطيت الطفلة كرتـــها ثم قبلتها ووقفت لأسير فتبعتنى أربعة عيون جميلة متسائلة .

تشـــابه أسمــــــاء

شدنى حديث السيدة عندما قالت أن القاضى بعد أن سمع كل الكلام لم يصدر حكما، ولم يظهر على وجهه أى تعبير يمكنها أن تستشف منه شيئا . وعندما وقفت لتشترى الملابس انتقـت ما تريد وقدمت الثمن للبائع الذى لم يأبه على الإطلاق لما تفعلـه وتركها تأخذ ما تشاء ولم يتقاضى منها نقودا بـل تركها تنصرف بكل ما معها .

أيضا عندما ركبت التاكسى لم يهتم السائق أن يسألها عن وجهتها ، وعندما نزلت انطلق بسرعة ولم يلتفت . وبلغت قمة الإثارة فى حديثها لما حكت أنها أعطت العجوز الذى يجلس بجوار الحائط جنيها كاملا إحسانا فإنه لم يقبض يده على الورقة وتركها تطير وتسقط إلى جانبه دون أن ينظر إليها البتة .

قالت السيدة أن اسمها ولاحاجة . ضحكت وثبتت الابتسامة فوق شفتيـها لترى وقع حديثها لكنى كررت الاسم فوافقت أنى سمعته صحيحا . تلك كانت مشكلة السيدة ولاحاجة أن الجميع يعتبرون ذلك نكتة سخيفة أو مرحة حسب الظروف ، ولكن لا يصدقون أن هذا اسمها فعلا، وبالطبع قاست مشكلات كثيرة بسببه.

عندما تقدم إليها خطيب وأعجبها ، وافقت ثم لم تحدث مشكلة واحدة يمكن أن توقف الزواج أو تؤجله ولا حتى اختلاف فى الرأى ، فكانت تخرج معه إلى الحدائق والملاهى يقضيان الوقت فى سعادة ، ثم ينطلق إلى بيته ليعود مرة أخرى.

ولما كانت ليلة الزفاف جلست فى" الكوشة " وهى لا تضع شيئا فى قدميها . لم يسبب ذلك مشكلة كبيرة ، فقط أثارت ضحك العريس والمدعوين ، وربما اعتقدوا أنها صيحة جديدة .
كذلك لم يبد على العريس أى انفعال عندما لم يجدها بكرا ، ثم عندما عاد من العمل لم يجد ما يأكله ، فسألها عما فعلت طوال النهار. أجابت ولاحاجة أنها لم تفعل أى حاجة على الإطلاق ، فجلس يحكى لها عن الذى عمله أثناء يومه هو الآخر واستمعت لكل كلامه ولم تقل ولاحاجة أى كلمة ترد عليه بها .

فى المساء حضر أصدقاؤه وقدمت لهم ولاحاجة ، يعنى لم تقدم شيئا ، ولكن الضيوف لم يمتعضوا فإن ولاحاجة لم تقدم مشروبا ، وقد يكونوا قد تحدثوا فيما بينهم عن هذا الموضوع .

السيدة ولاحاجة لم تنجب أطفالا ، ولما سألوا زوجها أجاب كيف أنجب الأطفال من ولاحاجة؟ وأضاف أنه سعيد فإن ذلك لا يكلفه شيئا ، فكانت نقوده تزداد ولم يكن فى حاجة إليها فأعطى أقاربه وأصدقاءه بعضا منها.

زوج السيدة ولاحاجة لما مرضت استدعى لها الطبيب الذى استمع جيدا لما تقول وهز رأسه وانصرف حتى دون أن يخرج يده من جيبه ولم يشخص مرضها ولم يصف دواء ولم ينصح زوجها بأن يقدم لها طعاما ، وهكذا تركها الطبيب وزوجها راقدة فى مكانها حتى اعتلت صحتها فخرجت تطلب مساعدة الآخرين الذين استمعوا وانصرفوا دونما تعليق .

لم يعد زوجها إلى المنزل بعد ليلتان ، ثم مرت سبعة أيام فذهبت إلى قسم الشرطة لتسأل عنه ، وقابلت الشاويش والضابط والمأمور ورئيس المباحث على التوالى وكلهم استمعوا إلى ولاحاجة وأداروا وجوههم يديرون أقراص تليفوناتهم أو يردون عليها ،أو يستمعون إلى رجال وسيدات أخريات أمامهم وأهملوا ولاحاجة تماما التى قررت التوجه إلى المستشفيات تبحث بنفسها عن زوجها المفقود ، وكلهم تصرفوا كما ضباط القسم الذين قابلوا ولاحاجة .

فكرت ولاحاجة أن تعلن نشرة فى الصحف القومية والمعارضة أيضا عن تغيب زوجها ، فأخذت مجموعـــة من صوره لتكـــون على رأس الإعلان وجهزت أرقام التليفونات التى يمكن أن يتصل بها الناس عندما يجدون زوجها .

فى إدارات إعلانات الصحف قابلوها واستمعـــوا إليها دون اهتمام فكتبت كل ما تريد فى ورق مدت يدها وأخذته وقدمته ثانية مع النقود .الموظفون لم يمدوا أيديهم ،لذا تركت الورق والنقود فوق المكاتب. لقد فعلوا مثل ضباط القسم وأطباء المستشفى العام . كلهم نظروا إليها وأكملوا ما يفعلونه دون اكتراث .

مرت الأيـــام ولم يظهر زوجها ولم يتصل بها أحد وشفيــت من مرضها وقررت أن تخـــوض الحيـــاة وحدها بلا زوج ولا أصدقاء . وتحكى ولاحاجة أنها تحضر المناسبات السعيدة للناس وترتدى السواد وتقدم لهم العزاء ولا يلتفت لها أحـــد ، وعندما كانت دقة الموسيقى مرحـــة طروب تصاحب المغنى الشاب الذى يتمايل مع الواحدة وهو يغنى قامت وربطت " إيشارب " طويل حول خصرها وتمايلت وسط الناس الذين يصفقون مع نقرات الطبول وهى تضبطها فى حركة الوسط واليدين ، لكن غاظها أنهم لم يهتموا بها وصفقوا أخيرا للمغنى الذى انحنى مرتين تحية لهم ، ولكن لم يمنعها ذلك من الظهور فى الأفراح والليالى الحزينة أيضا.

ولاحاجة كانت تشكو لأى واحد ، ولا يستمع لها أحد ، وتأخذ من الناس الأشياء ولا يغضبون. ويمكنها أن تعتدى على أحدهـــم ولا يدافع عن نفسه ، أو قد يدافع لكنه لا يتناقـــش معها أبدا .وهكذا فإنها تتعامل مع الناس ولا يتعاملون معها قط ، وهذا ما يزعج ولاحاجـــة فى كل حكاياتها التى قضت نحو الساعة تحكى فصولها . وعندما سألتها عن زوجها أدارت وجهها وقالت ولاحاجـــة أيضا .وأردفت هل ستتزوجين مرّة ثانية ؟ ساعتهـــا برقت عيناهـــا وقالت أنها بعد خمس سنوات من فقدهـــا لزوجها الأول تزوجت الثانى وتعيش معه فى هنـــاء وسرور فى شقة صغيرة جهزتها بأثاث فاخر ورثته عن زوجها الأول وورثه زوجها الثانى عن زوجته الأولى وكان كل منهما بلا أولاد .حكت أن زوجها الجديد يشغل مناصب كثيرة هامة ويلجأ إليه أناس كثيرون لحل مشكلاتهم فى كل إتجاه .

دفعنى حديثها أن أسأل عن اسمه فتجاهلتنى . وعندما أعجبتها دقة الموسيقى التى تصاحب الراقصة انفلتت لتحصل على"إيشارب" تلف به خصرها لتزاحم الراقصة فوق المسرح . الناس لم ينظروا إلى ولاحاجة واستمروا يراقبون اهتزازات الراقصة ودلالها مع الموسيقـــى ، وعندما انتهت الرقصة عادت تلهث والعرق يتصبب منها فلم تعد قوية كأيام زمان فانتهزت فرصة ضعفها وأعدت سؤالى عن زوجها فأجابت باعتزاز أن اسمه أى حاجة .

رفعت حاجبىّ مدهوشا من المصادفة الغريبة التى جمعت بين ولاحاجة وأى حاجة ، لكنها قالت أن ذلك شئ طبيعـــى فهما ليسوا أخوين بل هو تشابـــه الأسماء . فى نهاية اللقاء سألتنى ولاحاجة عن اسمى وأحرجتنى ، فلم يكن من طبعى أن أفخر بإسمى أو مركزى . هذه المرّة كان الحرج شديدا واستطعت التغلب عليه فقلت لها أن اسمى "مفيش " . انفجرت ولاحاجة ضاحكة بصوت عال فأحرجتنى أكثر فتركتها ومشيت .

* * *

أنيسة ... وأنيس

أنيسة الجليس

استدعيت ساحرتى الصغيرة ، وهذا يحدث عندما أستعد لأحلام اليقظة التى أتعاطاها كثيرا فى هذه الأيام. حضرت باسمة مشرقة ترنو فى ود وطاعة ، تنتظر أن أحادثها. لم يكن هناك شئ أريد أن أطلبه فقط افتقدت الصحبة. فهمت نظرتى الحائرة ، وجلست تحكى لى عن عالم الساحرات.

لم أصغ إليها جيدا ، فحديثها هذه المرّة معاد ، وجعلت أتأملها بينما تحكى. ماكرة ولماحة، استطاعت أن تدرك سأمى ، فأدارت حديثها إلى ما لاقته من عناء فى الطريق عندما استدعيتها. لم يكن كلامها مشوقا بما يكفى لأن أنتبه ، ورأيت الحيرة ترتسم فى عينيها.

فجأة قالت.. الليلة الماضية شاهدت معكم برنامج التليفزيون ، وأعجبنى المسلسل قبل نشرة الأخبار. لم اصدق ما سمعت ، أغمضت عينى ّوهززت رأسى ، أطرد صورتها بسرعة قبل أن تثرثر.

أنيس الجليسة

انتظرت موعد الوصول ، وهاأنا فى لحظات إنتظارى الأخيرة أتوقعه بين لحظة وأخرى ، متشوقة أن أسمع أخباره وألمسه بيدى ، فقد افتقدته طول النهار. رتبت البيت ، وكويت ملابسه ، وأنهيت كل الأعمال. ينتظره طعام لذيذ وحمام ساخن وحضن دافئ. عقصت شعرى ،
ووضعت عطرى ، وارتديت ثوبا يحبه.

الآن اصبح حلمى حقيقة ، هاهو أمامى ألمسه بيدى ، وعينى تطوف بوجهه تطمئن عليه. أتشوق أن أسمع كلماته وحكاياته. أمسكت يده أداعب أصابعه ، أشجعه أن يبدأ الكلام. تركنى وقام ، والتهم الطعام ، ثم دخل ونام. لقد أرهقه العمل والمشوار ، يشقى من أجلى. سوف يصحو نشيطا ونجلس معا ويحكى لى.

انتبهت فوجدته مرتديا ملابسه. حلق ذقنه وتعطر. نظر فى ساعته قلقا وابتسم. قال إنه لن يتأخر كثيرا ، وابتسم ثانية وانصرف. أعرف أنهم ينتظرونه فى المقهى. أصدقاؤه

هناك ، يحدثهم ويحكى ويستمع ، يحتاج لصحبة الرجال. يجلسون ويدخنون ويحتسون الشاى الأسود المغلى فى أكواب غير نظفية وعيونهم على الطريق.

أحسست بالبرد ، دخلت سريرى ، وغلبنى النوم. دقتين للساعة بعد منتصف الليل ، لم يحضر بعد ، سوف أحس عندما يصل. الغطاء انسحب من فوق كتفى. مددت يدى أحكم الغطاء. اكتشفت أنه ينزلق إلى جوارى ، مد يده وربت على ذراعى. كنت أريد أن أسمعه ، فليكن ذلك فى الغد. وغدا يوم آخر.

***

محور ضياع الفرص

عندما خرج من المنزل تأكد أنه تأخر عن موعده اليومى حيث يضربونه فى السوق، ولما فتح باب السيارة وجد السائق يحاول إدارة المحرك دون جدوى، فصرخ فيه أنه سيتأخر عن موعد الضرب اليومى، وربما فاته ذلك تماما، وأنه لم يعتن بالسيارة جيدا فقد تعطلت فى الوقت غير المناسب.

محبطا سار إلى محطة مترو الأنفاق، ووضع التذكرة فى جهاز الدخول فصرخ صوت الإنذار أنها مستهلكة، وأن صاحبها يحاول الدخول مدلسا على الحارس والناس ووزارة النقل والدولة ليركب مجانا عيانا بيانا.
قال: أنه لم يقصد ذلك، وأنه قادر على شراء واحدة جديدة، ولم يرحموه فدفع أجرة التذكرة وغرامة عشرين جنيها.

دخل المبنى يجرى وصعد السلم لاهثا، ليجد الكل ينظرون إليه فى عجب لأنه تأخر ، ورفضوا جميعا أن يلمسوه أشاحوا بالوجوه بعيدا، وهكذا فلن يحصل على نصيبه اليومى.
قالوا: لن نستطيع إكمال الاتفاق معك فقد تغيرت أسعار البورصة والدولار والذهب والبترول، فأدرك أنه فقد كل شئ فى لحظات تأخره.

الرجل الكبير قال: اذهب إلى بيتك يا سيدى، فأنت غبى من طبقة غبية، ونسلك غبى. أنتم مازلتم تفرحون بنومكم، وعندما تصحون تهرعون إلى المخابز، وتعودون لترقصوا على سلالم بيوتكم، وتستخدمون الصاجات فى ضبط الواحدة مع التصفيق بالأيدى كما تعودتم، ثم تتركون كل ذلك لتحتاروا مع تليفزيون المساء وبرامج الشاذين والمهابيل دوما.

تكلم الرجل العجوز فى بطء وروية قائلا: إن هناك أناس يستثمرون أموالهم وجهدهم، ولكنا هنا فالجميع نائمون إلى جوار الأرصفة والترع فى مهام خاصة مع أحلام خاصة.وعندما انتهى من الكلام، قام الجميع يحملون القيود الحديدية.
سمعت أنك لا يعجبك شئ، ويبدو أنك فقدت العقل .. أضخمهم جسدا وأكبرهم شاربا قال ذلك وجلس متثاقلا يبتسم فى فخر.
دمعت عينا الرجل ثم ضحك فجأة، وصاح فيهم .. من المتخلف الذى لا يرضى بهذه القيود؟ ودخل فيهم.

* * *

قبلات لا تنســى

قبلات فوق الجبيـــن

** كانت الأولى عندما دخلت المدرسة الإلزامية ، قال أبى وهو يودعنى إياك أن تبكى، كن رجلا. مال أبى ووضع قبلة فوق جبينى فهونت لحظة الفراق. فعلت ما قال أبى ولم أبك.

** عاد أبى من سفره ، ووقف أمامنا بهيئته العظيمة يرنو إلينا فى شوق ، وعندما اقتربت منه انحنى ووضع قبلته فوق جبينى.

** بعد نكسة عام سبعة وستين ، عدت واحتضننى أبى ، وكانت قبلته فوق الجبين ، قال أحمد الله على عودتك سالما. يمكنك أن تتحمل الإحباط.

** كانت الداورية تستعد لعبور حقل الألغام على شاطئ القناة الغربى. عندما بدأوا كان إبراهيم الرفاعى فى المقدمة فهو قائدهم. احتضنته بقوة مشجعا ، قبلته فوق جبينه وقلت لا إله إلا الله. مرت ساعة وعادت الداورية ناجحة وغنمت أسيرا وأسلحة من موقع العدو، وكانوا يحملون قائدهم إبراهيم الرفاعى. أدركت أنى قبلت الشهيد.

** كان الطفل عمره ساعات ، يرقد جوار ابنتى كتلة من اللحم الأحمر. رأيته يشبهنى ، وانحنيت أقبل حفيدى الأول. وكانت قبلتى فوق الجبين.

** فى عيد زواجى الأربعين ، تخيلت أن القدرة قد واتتنى ، فتوسمت خيرا. لما اقتربت قالت كل سنة وأنت طيب ، ووضعت قبلتها فوق جبينى واستدارت. قلت لنفسى لقد وفرت علىّ عناء المحاولة.

* * *

قبلات على الشفاه

** كانت الأولى لما كنت فى العاشرة عندما جذبت ابنة الجيران ألصقت شفتي بشفتيها. راح الطعم، ونسيت الشكل والاسم وتبقت الذكرى.

** لم تكن أمى تحب جارتنا. ولكنى عندما وجدت نفسى أمامها ودعتنى للدخول أطعت. اقتربت السيدة تحتضننى وأحسست بالارتباك والعرق، ووجدتها تقبلنى. ولم أدخل بيتها بعدها.

** أحببت جارتى ، كانت فى السادسة عشر. ولما اختليت بها فى الشرفة ذات مساء ، تركتنى أقبلها. عشت شهورا فى حلم القبلة . ثم انتقلوا إلى مسكن جديد ، وفرقتنا الأيام.

** صديق عربيد دعانى لسهرة فى وكره ، اقتربت السيدة منى وفاح من فمها رائحة خمر ودخان. خيل لى أنه ارتسم على شفتيها بصمات كثيرة لقبلات سابقة. تركت شفاه السكرانة ممدودة وابتعدت. سمعت ضحكة ساخرة مدوية ، ولم أحس بالخجل.

** خطيبتى الأولى. ذهلت عندما اكتشفتُ أنى لست أول من قبلها ، كانت مجربة ، اعتقدتُ ذلك. تركتها ونجوت بجلدى.

** تزوجت فتاة رقيقة صغيرة. قبلتها الأولى كانت خجلى جاهلة ، فرحت بها. جعلتها تكتشف بين يدى عالم الأنوثة ، وعلمتها أمور الحياة. عاشت إلى جوارى أعواما. لما اشتد عودها راحت تمارس ما تعلمته بعيدا عنى ، فتركتها لغيرى واسترحت.

** تجمع الناس على الشاطئ ينتظرون فى قلق. عاد الشهم ومعه فتاة غريقة. قلبها على وجهها ورفع ساقيها يفرغ الماء من جوفها. قلبها ثانية وانكب على فمها بشفتيه يمنحها قبلة الحياة. تحركت يد الفتاة ، وفرحت. رأيت الناس يصفقون للبطل وأنا معهم.

** فى أوروبا ، وجدت هناك شفاها رائعة فى دعوة مستمرة للقبل. نهلت منها قدرا ما استطعت. تركتها جميعا وعدت. راح الطعم ، ونسيت الشكل والاسم. وتبقى لى الندم.

❋ ❋ ❋

عندما تحلم راوية

ذات صباح قالت رأيت أبى فى حديقة واسعة، حوله العشب والشجر الأخضر. مرتديا عباءة واضعا عمامة ذات شال أخضر، ورأيت على شفتيـــه ابتسامة عريضة يرحب بى . لفت نظرى أنه لم يكن يرتدى هذا الزى أبدا عندما كان حيا ، ولما سألته قال أن هذه ملابس الرضا كلها بلـــون أخضر من الجنة . مددت يدى أصافحه فتراجع بلطف قائلا ليس الآن ، فقط خذى الزهرة من يدى وناولنى إياها بيضاء لا مثيل لها.

انطلقت راوية تحكى حلمها ثانيه ، وتزيد تفاصيل أكثر كل مرة تعاود فيها الحكى . لما أحصيت، وجدت أنها روت لى أربع مرات حتى قبيل آذان المغرب.ساعتها جلست إلى جوارى تشد يدى ناظرة فى عينى ثم تنـــهد قائلة ..الآن فقط جاءنى تفسير حلمى الجميل.

تثق راوية فى أحلامها وتعتقد أنها مكشوف عنها الحجاب ،وتمـــلك الجـــلاء البصرى والصفاء الروحى الذى يقارب الوحى . لم تكن راوية هكذا عندما تزوجتها لكن تدرجت حتى وصلت لهذا المستوى ولا تعترف أبدا بقدرات الآخرين فى تأويل الرؤيا وتفسيرات الأحلام . تقول أنت الوحيد الذى لا يقتنـــع بأحلامى ، فدائما تتهكم على شفافيتى وقدراتى .

أراها تنزوى تتصنع الغضب لأدللها فترضى أن تحكى.ساعتها تقترب وتستخدم كل ملامحها ويديهـــا فى الحكى وتشد وجهى نحوها ويدى وأصابعى لتجذب الانتباه ، ويا ويلى لو انصـــرفت عينى أو أذنى عـــن حديثها فإن لذلك واقعة لا أتحمل فيها غضبها الذى يدوم حتى الحلم التالــــى .

سأحكى قبل أن تروح الشمـــس . تعرف أنــــى لا أفســـر الحلم بعد المغيب أبدا، واستطردت .. سيرزقنا اللـــه بفتاة يكون اسمها زهرة لها بشرة بيضاء وستكون ولادتها يسيرة ويمنحنا رزقا واسعا مـــن أجلهـــا ، وتناســـت أنها وأمها بشرتهـــا بيضـــاء. كعـــادتى صدرت منى ابتسامة ، فتقلصت ملامحها غاضبة لعدم تصديقى حلمها . لكن بعد الشهور عندما لبينا نـــداء الطبيعة ظهرت علامات بعدها ارتفعت بطنها وانطلقنا معا ننتظر المولودة التى حددت شكلها واسمها.

رأيت طفلتنا الجديدة صغيرة رقيقة ، بيضاء البشرة جميلة ،ثم انهال علينا الرزق وفيرا قلت لراوية لابد أن تحلمى ثانيه بأبيك يأتى مرتديا عباءته والعمامة الخضراء فإن ذلك كان فألا جميلا صرخت راوية فى غضب إن ذلك كان حلما وتحقق .. لا بل رؤيا وكشف الله عنها الحجاب ساعتها لترى ما سيكون .

قلت بركاتك يا حـــــاجــــة.

تحكـــــى راوية أحلامها وأسمعها فى كسل ، لا يهمنى إن كان أبطال الحلم أصدقاء أو أعـداء. يشدنى فى حكيها انفعالها بالناس والأحداث فى رؤياها ، وتأكيدها أنهم كانوا فى حياتهم صالحين مؤمنين. وأنها رأت منامها ليلا فأحلام النهار فاسدة ، وكذلك التـــى فى غير أوقات طهرها ، تعرف أنها أطغاث فلا تلتفــت إليها ، ثــم تؤكــد أنها لا تبالى بتفاســير الآخــرين . أراها تحكى لأمى وأختها وأختى ما رأتــه ويصدقنهــا عندمــا ترســم الوقـــار والبـــراءة مع كلماتهــا الواثقة المنطلقة ، وأضحك لتغتاظ فتشكونى وينطلقن معها فى لومها لى ، ثم يستغرقن سويا فى تفسير الحلم الأخير.
أشارت راوية إلى التليفزيون قائلة هذه الفتاة تشبه هند. كنا نتابع المسلسل فى كسل عندما استطردت قائلة..هل تعلم أنى لم أرها منذ كنا فى الجامعة معــا.

قلــت - من هنــــد هــــذه ؟
قالــت - هنــد ابنـــه عم لأمى وهى فى مثــل عمرى ، وكما تراها جميلة بيضاء . شعرها ذهبى عينيها عسليتين رائعتين . سنوات كثيرة مرت وأشتاق إليها.
قلــت - أعتقد أنها لم تحضر زفافنا ، أنا لا أذكر أنى سمعت منك شيئا عنها من قبل .
قالت - حتى عنوانها لم أعد أعرفه ولا أدرى كيف اتصل بها.

مر على هذا الحديث مدة حتـــى نسيتــه ثم وجدت زوجتى تناولنى كوب الشاى باللبن دافئا فى يدى ثم تجلس عند طرف السرير ناظرة إلى وجهــى تتفرس فيه. أقول تلقائيا اللهم اجعله خيرا . تعودت ذلك من زمن . فهى إذا حلمت فى الليل فلابد أن تحكى فى الصباح فورا استيقاظها حتى لا تنسى.
تجلس هذه المرة قريبا للغاية ، متحفزة للحكـــى ، تناوشنى أن أفيــق بسرعة لأنتبــه لها فالكلمات تتقافز على شفتيها ولسانها ، فأقول لها احك يا راوية فأنا أسمعك جيـــــدا.

تتلاحق أنفاسهــا وتبرق عيناها ثم تتكلم هامســـة .. سمعت طرقا على الباب الكبيــــر وكنت فى بيت جدى . جريت لأرى من يكون الطارق وفتحــــت . وجدت هند تدفع الباب وتدخل فى جرأة دون أن تنظر إلى ، بينما عيناها تدوران تتفحصان المكان وتركتنى واقفة أتتطلع إليها فى عجب.

رأيتــك وهند جالسين تأكلان من طبق واحد ، تتناولان لحما نيئا ، تضع لك قطعة فى فمك وأنت سعيد بما تفعله ، ثم تداعبها بقطعة أخرى تتناولها ضاحكة منطلقة بلا حدود .

كان الفراش عريضا فى غرفة وردية واسعة ، وهند ترتدى ملابس نوم حمراء اللون شفافة عارية ، تنظر فى لا مبالاة ، وتلقــى بذراعهــا على الجالس إلى جوارها فى دلال تداعب شعره ، ثم ترمى فى اتجاهى بقطــع من النقود الفضية .راوية رأت كـــل ذلك ، بعدهـــا كانت تطارد هند طوال الحلم ، فقد كان الراقد جوارها فى انشراح هو أنا شخصيا .

قالت- إن ما رأيته كان شيئا مريعا . كنتمـــا تتناولان سيرتى بشكـــل مرعب ، وتخططان لتدميرى، ثم تتطارحان الغرام وتلقى إلى بالنقـــود الفضية، ذلك ينذر بفضيحة تهتـــز . لها العائلة ، بعدها يأتينا الفقر والتعاسة .

قلت - من تكون هنـــد ..؟

- حكيت لك عنها قبلا .. ألا تذكر..؟
- آه .. نعم .. كان ذلك من أسابيع قليلة.
- لقد كانت معك فـــــى الحلم.
- لا .. لم يحدث ذلك .
- أنا أتحدث عن حلمى أنا . رأيتها معك .. بعينى هاتين شاهدتكما.
- فـــــى الحلـــــم .. !! ؟ الحمـــــد للـــــــه.
- لماذا تحمـــد اللـــه الآن ؟
- إن ما رأيته فى الحلم لـــن يحدث لأنى لا أعرف هند هذه ،ولم أقابلها مطلقا،وحتى إن قابلتها فلن أعرفها.
- ســـــوف تقابلها .
- كيـــــف سيـــحدث ذلـــك ؟

قالت – حلمـــى أنا لا ينزل الأرض أبـــدا . أنت تعرف ذلك . سوف تسعى هى إلينا ثم يكون ما رأيته .

فتحت فمى مشدوها فقد دخلـــــت راويـــة فى منطقـــة جـــديدة من القدرات ، فهى تتنبأ الآن بمصيبة ليست فى الحسبان ، ثم انطلقت ضاحكا استخف بما قالته ، بينما تنمرت راوية لتحاسبنى عما سيكون باعتبار أن حلمها قضية منتهية فقد أدانت خيانتى وقاربت أن تصدر حكمـــــا .

* * *

كاملـــة وسليمــــة

قـــــالت – أنا دائما وحيدة أنتظر ، لماذا لا تدعنى أحادثك فى المساء ؟

قلــــــت – قد تصحو زوجتى على الرنين.

– ضع التليفون فى مكان بعيد.

– وإذا سمعت الجرس..؟

– تستطيع أن تتصرف.

– وتستطيع أن تجعل ليلتى سوداء بالتحقيق والعقاب.

– لا تبالغ فى قدراتها.

– سأخفض الرنين وأضع التليفون بعيدا فى الشرفة وأنتظر إلى جواره.

– تزيد فى التحوط والحذر.

– ماذا ستقولى فى حديث الليلة..؟

– أنتظر أن تقول.

– سأحكى لك كيف كان يومى.

– ثم..؟

– أقترب منك أكثر.

– ثم..؟

– أمسك أصابعك وأداعب شعرك.

– فى التليفون أليس كذلك..؟

– آه.. وربما تعابثت أصابعى أكثر!

قالـــــت – ممكن.

قلـــــت – وماذا يحدث لو حاولت أن أقبلك..؟

– ألم تفكر أن تفعلها حتى الآن ؟

– أحلم بواحدة.

– وأنا أيضا.

– نحلم معا بقبلة عبر الأسلاك..! فلنجعلها حقيقة نسعد بها ،ليكن ذلك فى الغد.

– لا.. هذا بعيد نجعلها فى الحلم ، أو فلندعها رغبة مستمرة فهذا أجمل.

– بل أصعب.

- **عندما ننالها سوف تفقد الطعم.**
- **إذن نشرع فى التالية.**
- **أنت متفائل ، فإنك لم تحصل على الأولى بعد.**
- **هل سأحصل عليها وحدى..؟ نحصل عليها معا.**
- **أنت الذى تتمنى.**
- **وأنت..؟**
- **أريد أن أسمعك وأنت تحلم.**
- **وإذا تماديت..؟**
- **لا مانع ،لا قيود على حديث التليفون.**
- **ولا على الأحلام.**
- **دعك من هذا ، نتقابل فى الغد ، ونحقق الحلم.**

قالــــت – أترك ذلك للغد ، ولنعد إلى قبلة الأحلام ، قل لى كيف ستكون ؟

قلــــت – هل رجعت بنا السنوات لنراهق من جديد على قبلة فى الخيال عبر الأسلاك ؟

- **صدقنى هكذا ستصبح متعة فريدة.**
- **يـــاســـ ــــ ـــلام..!!**
- **عندك زوجتك ، قبلها كما تشاء ، فتهدأ.**
- **وأنت لديك زوجك.**
- **طعم هذه القبلات غير ما تكون معك.**
- **كيف وأنا لم أقبلك بعد..؟**
- **وماذا كنت تفعل منذ قليل..ألم تكن تعد لقبلة..؟**
- **كنت أرتب لأجعلها حقيقية.**
- **دعك من الترتيب ، قل لى كيف ستحبنى؟**
- **أسمع زوجتى تتقلب فى الفراش.**
- **دعها تتقلب.**
- **إنها تسمع خطوة النملة فوق بلاط الحجرة.**
- **إذن فقد سمعتك الآن ، وأنت خائف للغاية ، تريد إنهاء المكالمة خوفا من الخطر.**
- **لا.. بل إيثارا للسلامة.**
- **ياجبان.**
- **سوف أنتظر مكالمتك..لا..بل نتقابل.**

قالــــت – هل صدقت نفسك..؟

قلــــت – بالطبع.

- *هل أعجبتك قبلة الليلة..؟*
- **أنا لم أحصل على شئ بعد.**
- **سوف تكون لك قبلات كثيرة.**
- **فى التليفون ..!**
- **ربما تطورنا.**
- **تلعبى بالكلمات ، أريدك أمامى ، أحدثك وألمسك.**
- **وتحاول الحصول على القبلة..!**
- **أكيد.**
- **هكذا ستخون زوجتك.**
- **ليست هذه خيانة ، مجرد قبلة لا غير.**
- **أنت طماع ومغالط.**
- **وأنت..؟**
- **أنا أحبك ، وأريد أن أسمعك.**
- **عن قبلة فقط..؟**
- **نعم صوتك سحرنى.**
- **عدنا للكلام والمراوغة.**
- **سأحادثك فى الصباح**

قلـــــت – لتحلمى من جديد..؟
قالـــــت – بقبلتك القادمة..وستكون رائعة.

***

أبدا...!!

فتحت عينى فى كسل. فى البداية لم أر شيئا فى الظـلام. ربما غلبنى النعاس أو كان حلم يقظة. رأيتها إلى جـوارى كأنهـا نائمة، و يداها ألقيت إلى جانبها وفمها مفتوح. أدركت أنها ماتـت من لحظات.

نسمات ندية هبت تحمل رائحة الزهور والشـجر وجـدول رقـراق تجرى مياهه فى عذوبة وسكون.وانبعثت موسيقى ترامت إلىّ من بعيد بألحان أحبها فدغدغت أحاسيسى وجعلتنى سعيدا.

قالت – ماذا بك؟ لا أراك منزعجا أو مشدوها، كأنما الأمر عادى لـم يفاجئك؟

قلت – أبدا.

قالت – كذلك لم تحزن أو تبك، حتى دمعة واحدة..!

قلت – أبدا.

راحة ناعمة شملتنى أحسست بنفسى خفيفـا ارتفـع فـأطير فـوق الحدائق والبيوت والمآذن. أرى من علو متمهلا كل شـئ صـغيرا دقيقا جميلا. لم أشهد عراكا ولا زحاما.

قالت – ربما فرحت لما رأيتنى مت؟

قلت – أبدا.

قالت – الأحرى بك أن تنادى أحدا يسـاعدك أو تسـتدعى طبيبـا لإسعافي ربما كنت فى إغماءة وأحتاج المعونة.

قلت – أبدا.

قالت – أرى أنه ليس لديك إلا هذه الكلمة؟

قلت – أبدا.

حرية عريضة ملأت الأرض والسماء أمامى آخذها كلها فى أحضـانى لأجدنى متفردا بلا ارتباطات والتزامات أو مشكلات.

قالت – أحس أنك كنت تنتظر أن يحدث ذلك. لـن ترث منى شيئـا . ربمـا حاصرك أخوتى،ويستجوبونك أو يبلغون الشـرطة أنك قتلتنى. هل ستخاف؟

قلت – أبدا.

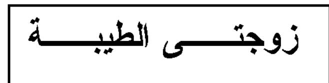
- قد تفكر فى الزواج من بعدى.
-

أبدا.
- سوف أزورك كل ليلة لأطمئن على حالـــك وأؤنســـك.
أعرف أنك ستحب ذلك.
- أبدا.
- ياترى هل ستعيش وحيدا من بعدى؟
- أبدا.
- قد تملأ البيت بالأقارب والجيران والأصدقاء نساء ورجـــالا فتجعلونه ماخورا
- أبدا.
- واحدة تكفـــى... صـــح..؟ مـــن ســـــــــــــــــــــــــــتكون؟
- أبدا.
- الحزن ملأ قلبـــك، ولـــن ترتاح بعدى وستفتقـــد من تمـــــلأ الفـــراغ.أعرف أنك طيب القلب وستســـامحنى،وأدرك أنـــك تحملت عاداتى السخيفة وردودى الباردة وطلباتى التـــى لـــم تنته أبدا. وأرهقتك سنوات ، كان ذلك قدرك معى.
- أبدا.

نور سماوى رقيق تسرب إلى وجدانى ولفنى كلى ، فأضاء بصـــيرتى واطمأن قلبى وارتاح ، فاستراحت أساريرى وانفرجت وصدرت منـــى آهة ارتياح طويلة عميقة.

قالت - لم يفاجئك الأمر ، ولم تكن تنتظر موتى ، ولم تحزن ولم تفرح، ولم تخف ولا تحب أن أزورك ولن تكـــون وحيدا ولن تملأ البيت بالآخرين، ولا تطمع أن تخلفنـــى امرأة أخرى. هل ترى أن ذلك يقنعنى؟
قلت - أبدا.
قالت - ماذا ستفعل إذن؟
قلت - سأكمل حلمى الجميل وحيدا حتى الصباح.

***


زوجتـــــى الطيبـــــة

رفعت عينى بالصدفة إلى البناية أمامى فرأيت شابا يشير أن أصعد إليه. قلت لنفسى ربما هناك خطأ ما ، وأدرت النظر حولى فرأيت البعض جالسين أو واقفين لايعبأون بى أو به. نظرت إليه ثانية فوجدته وقد غير إتجاهه قليلا إلى يمينى فأسرعت أنظر لعلى أعرف لمن يشير.قالت زوجتى لاتهتم كثيرا بذلك.

كانت هناك فتاة تجلس على السور خلف محطة الأوتوبيس التى كنا نجلس تحت مظلتها ، وكانت منهمكة فى الحديث مع صديقتها فلم ترنى عندما نظرت إليها ، ومن المؤكد أنها لا ترى ما يحدث فى المواجهة.
هكذا ثارت فى نفسى الرغبة أن اكتشف ما يفعله هذا الشاب. ادارت زوجتى وجهها إلى الناحية الأخرى وقالت تنتقد الفتاة ..هذه الماكرة تتشاغل بالحديث حتى تبعد الشبهة عنها.

ظللت أراقب وكلما رفعت رأسى رأيت الشاب مستمرا فى الإرسال والحركة ثم يطفئ نور الشرفة ويضيئها ثانية ليلفت النظر ، وأتى بجهاز تسجيل كبير ووضعه فوق سور الشرفة إلا أن صوت السيارات المارة والضجيج لم يتح الفرصة لأن أسمع.
أدرت رأسى لليسار قليلا ثم رمقت بعينى بالجنب لأراقبه بهذه الطريقة فأكتشف ما يفعله ، ثم استدرت للناحية الأخرى ، ولم يكن هناك فارق فإنه كان يرسل إشاراته بإستمرار.
قالت زوجتى وما الفائدة إذا راقبته أو لم تراقبه فإن النتيجة واحدة ، ثم نظرت زوجتى فى إتجاه الشاب وابتسمت فىثقة وربتت فوق يدى بحنان.

ركزت مراقبتى على الجميلة الجالسة خلفى ، وعدلت من جلستى لأراها جيدا ، ولاحظت ذلك فبادلتنى النظرات ثم الإبتسامات المتسائلة غير المفهومة، وربما تكون قد فسرت حركاتى بأنى معجب بها لدرجة أنى غيرت جلستى لأراها بوضوح فأتابع حركتها وكلامها. رأت زوجتى كل ذلك ولم تعلق لعلها خافت أن أحرجها بالرد فتركتنى أراقب الفتى والفتاة بطريقتى.

كدت أقطع بأن هذا الشاب إما أنه مجنون أو شاذ ، فهو مصمم تماما أن يستمر فى إشاراته نحوى ، ثم عندما أنظر إليه فإنه يعدل إتجاهها للفتاة الجميلة التى لاتحس به ، ولما لم أستقر على رأى فى هذا الموضوع فقد

قررت أن أستمر فى جلستى حتى أكتشف ما يريحنى. قالت زوجتى باسمة لاتتعب نفسك كثيرا فلن تصل إلى شئ.

فجأة نزل الشاب من بيته وعبر الطريق فى إتجاهنا ثم انحرف يسارا ليجلس هو الآخر على السور خلفنا على مقربة من الفتاة الجميلة الغارقة فى الحديث ، ثم استمر فى ارسال إشاراته فى إتجاهى ونحوها فى نفس الوقت ، فإنهم جميعا الآن إلى الخلف منى ولليمين قليلا.

رأيت ابتسامته وقد اصبحت أعرض ،ورأيت الجميلة وقد اهتمت أن تنظر إليه فإرتحت قليلا عندما اكتشفت أن الشاب ليس مجنونا ولا شاذا ، وقدرت أنى لم أدقق إتجاهات إشاراته لبعد المسافة عبر الطريق. لذا فقدت حماسى للمتابعة وقررت القيام لأكمل مشوارى.

قلت لزوجتى لقد استرحنا بما فيه الكفاية ، هيا نستكمل المسير ، فقامت متثاقلة صامتة مستسلمة ، فإنها كانت قد طلبت القيام قبل ذلك ورجوتها الإنتظار حتى أتم إكتشافى.

بدأت السير وأمسكت يد زوجتى أستعد لأن ألقى ببيان أشرح لها فيه رأيى عما كان من أمر الشاب والفتاة والفكار المغلوطة التى راودتنى.

قطعت أفكارى عندما صدمنى أحدهم بخفة فى كتفى ثم سار أمامى وعبر الطريق ليدخل المنزل المواجه. الصدمة أفقدتنى توازنى لحظة ثم اكتشفت أن الذى صدمنى كان الشاب صاحب النظرات والإشارات. لمحت زوجتى تستقيم بعد أن التقطت شيئا كان قد سقط منه على الأرض ، وصممت أن أراه وفتحت يدها ، فوجدت بها ورقة مطوية كتب عليها رقم تليفون.

* * *

كوتشينـــــــــة

عندما تبدأ اللعبة بين اثنين ، فى النهاية دائما الغالب والمغلوب ، وعندما تكون بين الأصدقاء أو الأحباء أو الأزواج ، قد يحب أحدهما فى بعض الأوقات أن يترك شريكه يكسب الجولة أو الدور ويجد سعادته فى ذلك.

لعبتى أنا وزوجتى لم تكن رياضة أو هواية مشتركة بل كانت "الكوتشينة" ! و دائما لعبة الثلاث ورقات ، كلنا نعرفها ، صورة واحدة وورقتين يقلبهم اللاعب بين يديه ، ويخمن الثانى أين الصورة منها. الغالب يملك الأوراق ، حتى يخسر دورا ثم يتركها لزميله ، يراهن كل منهما أنه الرابح.
كانت لعبة مسلية وقفت كثيرا أثناء عودتى من المدرسة لأرى الرجل يتحايل أن يظهر الصورة لنا كلنا ، ويغافلنا ويغير مكانها مرَة بعد أخرى. وفى كل مرَة كان يكسب من الجميع ، وله رفيق يقف معه دائما ، يعرف لعباته ويضع قروشه فوق الصورة باستمرار ، ويقتسما مكسبهما معا.

بعد أن وصلت الثلاثين تزوجت عن خبرة ودراية واختيار. كانت تصغرنى بعشرة أعوام ، رأيتها ماهرة فى كل شئ حتى لعبة الورقات الثلاث. كانت فى البداية تصر أن تجعلنى أرى الصورة ، فكنت أخسر دورى أحيانا وأستطيع أن أكسب مرات ، ولكن كنت أجدها تحزن وربما تظهر غضبها وتطورت لتثور ، وقد تتهمنى بالغش عندما تخسر الدور.لأتفادى ذلك كنت أدعها تكسب ، ثم تعمدت أن أخسر الأدوار وأكسب رضاها. بهذه الطريقة أصبحت اللعبة عادة دائمة. نجلس ونفرد الورق وتقلبه ، وأضع يدى ، أى يد ، على أى ورقة وأتركها تصيح أنها كسبت ، وربما كنت الرابح ، ولكن تغالط لكى تكسب ولم أمانع.

عندما مرت السنوات قالت حبيبتى أنه ليست هناك ضرورة لأن تضع صورة ضمن الورقات الثلاث. ورفعت الصورة من الورق ، رأيتها تضعها فى جيب " بلوزتها". كانت تمسك الأوراق كلها متشابهة ، وتفرد الورق ، وأضع يدى وأشير ، وتقلب الورق بلا مبالاة وتكسب الدور. كانت البلوزة شفافة رقيقة ، لا ترتدى تحتها شيئا ، وهذا عادى فقد كنا دائما بالمنزل ، ونلعب وأرنو لأرى الورقة فى جيبها فأسعد عندما أراها تغشنى وتكسب وتصيح من الفرح. كنت حينما أنظر إلى الورقة لا أراها ، بل أرى صدرها جميلا ناهدا أبيض اللون يترجرج مع اهتزازاتها وانفعالها بربح الدور ، وأكتفى بأن أرى الحلمة كمنقار العصفور ينقر البلوزة فى هدوء.

لم يكن عندنا كوتشينة ، ولم نكن نلعب الورقات الثلاث. بل كانت مناقشاتنا هى الورق ، والرابح من ينتصر فى رأيه وكانت دائما تكسب. أتركها تربح وتعاند وتغالط كثيرا. عشر سنوات تكسب وتزهو دائما، وعندما تفعل ذلك فإنها تأخذ شهيقا كبيرا فتملأ صدرها بالهواء لينتفش وتصبح كالديك ، ثم لا تخرج الهواء ، واستمرت تزهو حتى عظم حجمها ، أصبحت مثل الفيل يفرض إرادته بقوته وحجمه فتلعب الدور التالى بلا أوراق ويكفى أن تقول رأيها.

كانت سعادة أن أرى فرحتها ، وأحببت ألا أضايقها بأن أكسب منها دورا. والآن أصبح لها الحق فى أن أخسر دائما ، ولابد أن يكون ذلك كل يوم ، حتى وجدت نفسى وقد ضقت بها وبلعبتها وانسحبت مرة فطلقتها.

مرت أيام ، وعادت تعاهدنى أنه لن يكون هناك مثلما حدث ، وسترضى أن أضعها فى المكان الذى أريد والمهم أن تعود. قالت تخدرنى سأكون السيد وآمر وتؤمر فأطاع وتلبى رغباتى وأوامرى فرضيت.

تمر أيام وتحن للعبتها المفضلة والأثيرة لديها تداعب بها خيالها وفكرى ، تلوح بها حينا وتخفيها أخرى ، حتى استطاعت أن تصل إلى النقطة التى انتهت إليها قبلا.

كان لابد لها من وضع الحدود التى يجب ألا أتخطاها ، بعد أن اطمأنت وهدأت وفكرت فى روية من أمرها ، فيما يزعجها منى. فأنا مازلت مسالما كما أنا دائما ، ويجب أن تجردنى من كل قوتى وأسلحتى ورأيى ونواياى .

استجمعت قوتها الفكرية والعاطفية لتنسج خيوط مؤامرتها هى ونفسها حول شخصى الضعيف، وفكرت واستشارت واستعانت بتجارب الآخرين والأقارب والأصدقاء وخرجت بدروس مستفادة من كل المواقف ، ووضعت نفسها فى الجانب الآمن لتبدأ الهجوم .

ثم ارتكبت خطأها الوحيد . نسيت أو تناست أن هذه التجارب لأشخاص آخرين ، فى زمن قديم وفى ظروف أخرى ، لا تصلح لتطبيقها معى ، فنحن غيرهم فى

وقت آخر وموقف مختلف ، ثم اختارت الوقت غير المناسب ليكون ساعة الصفر لبدء الهجوم.

بدأت اللعبة هذه المرَة ناعمة ، واستحضرت أوراق الكوتشينة ، وعلى غير عادتها وضعت الصورة وبدأنا . كالعادة أضع يدى وأفكارى على أى ورقة أريد أن أكسب رضاها وأرى فرحتها فى عينى بالربح ،وقد أستمتع عندما أرى صدرها يترجرج خلف البلوزة الشفافة وتنقر الحلمة القماش فى هدوء.
مر شهر كامل نعمت فيه بكل ما أرادت ، وكسبت كل ما طمعت فيه ، وأكدت لنفسها تفوقها وحبى لها. عندئذ أصرت أن تلعب على المكشوف لأول مرَة ، وسحبت الصورة ثانية من أوراق اللعب، وقلبت كل الأوراق أمامى.
ارتدت هذه المرة بلوزة سميكة لا أرى منها صدرها ، وتحفزت وبدلت الأوراق ، ويجب أن أضع يدى وأفكارى لتحكم بعدها بأنى قد خسرت ، لتسيطر على كل شئ ، حتى عدد أنفاسى ومصيرى، فأتحول إلى شئ ، لا أتحرك إلا عندما تريد. وحتى تريد يجب أن ترضى ثم تستمتع أن تسأل ثم لا تكترث لإجابتى وتنفذ رأيها.

يوم اللعبة الأخيرة طلبت واشترطت ولابد أن أحقق لها ما تريد كله . وإلا فالطرد من نصيبى. سوف أطرد من قلبها وسريرها ، ووقتها واهتمامها .إن كل الأشياء لها ، ولا يتبقى لى سوى بضعة ملابس تكفى حقيبة متوسطة الحجم لكى أحملها خارجا. ولن تتأثر فقد أصبحت لا تطيق أن أعيش إلى جوارها ، وأحيانا تقف فى صورة شهيدة الإخلاص والتفانى. ولابد أن تكون مظلومة ، فإنها صغيرة على الحساب ، ولا يجب أن أضغط عليها أكثر مما كان.

العجيب أنه عندما يزورنا الأصدقاء أو الأقارب فإنها تكون رقيقة متفانية مطيعة ، المثير العجب أكثر ، أنها تسألنى وتستشير أيضا ، وتكاد تذوب رقة ودعة ، ليعلم الجميع فى كل أنحاء العالم كم هى مثالية ودودة ، ثم بعد أن أصبح وحيدا ، ترتد كما كانت تماما فقد انصرف المشاهدون

كرهت نفسى وضعفى أمامها ، لقد كنت السبب. وتركتها حتى وصلت إلى ما هى فيه، أفعل كل شئ من أجلها حتى تكون سعيدة . وأتنازل لتبتسم ،ولم تقدر شيئا ، ورأتنى مسطح الشخصية أملسا ذا لون غير واضح أو مريح ، فاختارت لى اللون الرمادى الباهت الذى لا يوحى ليكون رمزا لى عندها ، إنها تستطيع أن تفعل الكثير فقد كسبت كثيرا.

اعترضت على اللعبة بينى وبين نفسى ، فلا أستطيع أن أفكر بصوت عال لأنها أحكمت الحصار فإن وافقتها أو اعترضت كسبت منى الدور وخسرت

راحة بالى أياما قد تمتد حتى تستطيع أن تجد طريقة تكرر بها لعبتها المفضلة.

إن اللعبة مازالت أمامنا والأوراق مكشوفة بورقاتها الثلاث ، الأولى والثالثة شروطها وطلباتها ، والثانية العقاب الذى ينتظرنى إذا رفضت. وتطلب أن ألغى عقلى وإرادتي وأختار. وقد غاب عنها أن حب التملك قد تمكن منها حتى اختلط عليها الأمر. لذا أفكر فى حقيبة متوسطة الحجم تسع بعض ملابسى أتسلل بها فى هدوء. أدرك أنى قد أشتاق للعبة ولكن لن أمارسها أبدا. وقبل أن أرحل يجب علىَ أن أفكر مرَة أخيرة ، أى الورقات أختار ، ربما تغير رأيى بعد قليل.

* * *

زلزال هــذه المــرة

فاجأنى الزلزال بعد منتصف الليل بقليل . الحق أنها لم تكن مفاجأة وكنت أتوقعه ، لكن الجديد أن قوته أكبر من المرات السابقة . كانت إشارات المقياس تشير أن الزلزال القادم لن تزيد قوته عن أربعة درجات ، ثم جاءت القراءات هذه المرة تشير إلى فوق الخمس درجات وهذا أدهشنى. وإن دل ذلك على شئ فإنما يـــدل على أن الزلزال السابق كان إشارة إلى زلزالى هذا الذى فاجأنى عندما كنت راقدا. رأيت كل شئ يهتز وهمهمات مكتومة تصدر حولى ، والارتجافات والارتعاشات تشمل كل شئ . كان الأولاد نائمين فى حجرتــــهم المجاورة مستغرقين فى نوم عميق ، وخشيت أن يوقظهم الزلزال . لم أكن مستعدا لأكثر مـــن ذلـــك ، وأقدر على تحمل هذه الزلازل وأتصدى لـــها ، وأترقبها دائما فإنى أعرف مواعيدها ، وأستطيع أن أتوقع شدتـــها بحاستى الفطرية وأتخذ ما يكون مناسبا للاحتياط الواجب .

كل شئ كان يتأرجح ، والسرير كاد ينقلب بمن عليه ، وأصوات الغليان فى الباطن هناك الحق أنى خفت من الخسائر التى قد تحدث لى ، أو للآخرين . كانت خسائر الزلزال السابق كبيرة فقد تحطم مرآة وكرسى وقليل من الأطباق ، وأصيب الأطفال ببعض الخدوش . أما هذا الزلزال فأدعو الله أن يجيب العواقب سليمة .
كانت الساعة تشير إلى قرب الواحدة صباحا عندما أنفجر البركان وبدأ يقذف الحمم الساخنة والملتهبة والصخـــور المنصهرة . شهود العيان قالوا أنه صدرت من فوهة البركان سلسلة من الانفجارات المدوية كصوت الرعد مضاعفا عدة مرات ، ثم كرات اللهب وتلاها الرماد الذى غطى المنطقة كلها .

بعد أن تمرست على مجابـــهتها أستطيع أن أحمى نفسى ، فأتسلح بقناع الصلابة ودرع القوة ، وأستطيع تفادى القذائف فى اتجاهى ، فانحنى لأسفل قليلا أو أنط إلى أعلى وربـــما لأحد الجانبين ، وتكمن قدرتى فى إنى أستطيع تحمل الزلزال والبركان مرة بعد الأخرى ، وأصبر حتى تمر ثورته إلى النــــهاية . ساعتها عندما أرى بركانى الذى أحدث الزلزال وقلب غرفتى رأسا على عقب هادئا وديعا لا يتصاعد من فوهته أدخنة سوف أتتعجب أنه أحدث كل ذلك الدمار داخلى وخارجى .

كان الزلزال ليلة الأمس بسبب مادى بحت ، فلم تكن هناك امرأة أخرى أو تصرفا يحرج الكرامة أو الكبرياء . كان السبب عدم توازن الدخل مع

المنصرف ففقدت توازنـــها وبدأت مظاهر الزلزال، همهمة وخبط الأبواب ورمى الأدوات على الأرض .
عندما تتحدد ملامح الصراع فإنـــها تلقى الأشياء فى إتجاهى محاولة تدميرى أو على الأقل شل تفكيرى وحركتى ، وتكون مستعدة للخطوة الثانية لتتفوق فى الجولة التى تليها .

كثرة تدريبى على الكوارث المنـــزلية أكسبتنى مهارة تغيظ ، كانت المقذوفات كلها تصيبنى ثم تطورت وأصبح بعضها فقط ، وعندما تفوقت استطعت أن أجعلها تصيبها مع أنـــها هى التى أطلقتها ، فيجن جنونـــها من عدم إصابتي ثـــم لإصابتها نفسها .
ويتجمع الأولاد أو الحاضرون لمشاهدة العرض غير الشيق الـــذى يستمـــر فترة قد تمتد حتى ساعات الصباح الأولى ، فترقد كالقتيل ، ثم تكون مضطرة فـــى نـــهاية الأمر بعد يومين أو أكثر أن تزيل آثار العدوان ، وتبدأ فى التودد متظاهرة بأنه لم يحدث شئ فى الوقت الذى تعد فيه للانفجار القادم حتى يكون مؤثرا وتحصل على ما تريد .

استمر الزلزال طويلا وانفجر البركان ليلقى ما بداخله تجاهى ، ولعبت دورى بمهارة كالمعتاد . ورأت أنـــها لم تحقق ما هدفت إليه ،فأخذت كل النقود وجمعت حليها الذهبية وملابسها الصيفية والشتوية ، وكل ما يمكن أن تستعمله من الأدوات الصغيرة والكبيرة .
شحنت كل ذلك فى بضعة حقائب وأكياس إلى منزل عائلتها الموقـــرة ورحلت وحدها . انتظرت أن نتسابق إليها نرجو العفو والسماح ، ولم يتحرك منـــا ساكن حيث غمرنا شعور قوى بالارتياح يشبه المطر فى الصحراء فى يوم قائظ لا رحمة فيه أنتظره الجميع طويلا .

استقبلوها عندهم بالصمت والبرود واللامبالاة . يعرفون انفعالاتها وثوراتـــها المجنونة وحممها ورمادها البركاني الذى يغطى كل شئ . دخلت وأشياؤها تسبقها أو خلفها . غيرت ملابسها وتناولت الطعام واستخدمت التليفون والحمام .
حكت قصتها للأهل والأصحاب والجيران وسائقى التاكسى والجدعان . سمعوها وصمتوا ثم انصرفوا. قال بعضهم ربنا يكون فى العون فرجه قريب وربما تذكرنى بعضهم فطلب لـــى الرحمة وللأولاد السلوان علاوة على قوة التحمل والصبر إلى أن يأتى الله أمرا كان مكتوبـــا.
انتظرت أن أفعل شيئا لاسترضائها ،فلم أفكر فى ذلك ، وأرسلت بعضهم للتلويح والتهديد بالويل والثبور . ولم أتحرك . رفعت التليفون وطلبتنى وهددت بعظائم الأمور . ولم أخف.

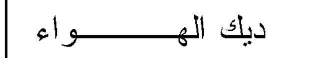
أقنعها دور الشهيدة والظالم ،ومثلت الدور أمامهم وحاولت أن تقنعهم ، وانتهى الدور ولم يقتنع أحد.

فى محاولتها للحل لم تقرأ الكوتشينة أو الفنجان ، ولم تلجأ للعرافات والدجالين ، ولا لمحامى كبير .سكنت فى مكانـــها تفكر وتجمع وتطرح ، وألقت بثقلها فجلست فى السيارة إلى جوارى رغما عنى وبدت هادئة تحاول الصمود حتى تكسب الموقف ، متظاهرة بالبرود والهدوء ، ثم غلبت طبيعتها فظهر البركان وقذف الحمم وتوقــف السائرون.
تحلقوا حول السيارة واندهشوا ، سمعوا الكلام وابتسموا ، ضحكــوا ثم انصــرفوا . أحست بالخطأ والخزى ، وربما بشعور الضآلة . استسلمت للمرة الأولى وانــهارت . فبكت بحرقة وألقت بنفسها على صدرى واستسلمت أنا .

أعرف أنها لن تكون الأخيرة . فبعد أن عادت رأيتها تنظف فوهة البركان وتعتنى بـــها ، وتلملم الأفكار والكلمات التى سمعتها من الآخرين ، وتسجل اســم كل منهم أمام الخطأ الذى ارتكبه فى حقها.
تحاول أن تخلق موقفا للوقيعة حتى تقطع بعض الخيوط التى تربطنى بالآخرين .
كل ذلك تم فى صمت مشوب بالإحراج لأنـــها لم تنتصر.

هذه المرة سوف آخذ حذرى لأحافظ على مكاسبى التى حصلت عليها ، وتحفزى ليس للاحتفاظ بالمكسب فقط ولكن لتوقعى لزلزال جديد أو بركان ثائر . ولكن ما ذنبى أن أقاسى . فقد منحتها الوقت والمجهود والبيت والأولاد ، والحب والحنان ، وغلطتى كانت عندما وارت هذه الزلازل والبراكين قديما منذ سنوات قبل أن تخطو إلى الأربعين و لـــم يكن ذلك ليلفت نظرى ، وهكذا سيمضى بى العمر مترقبا .
بعد أن أصبحت خبرتى عاليـــة ، فإنى أستطيع التنبؤ بالزلازل مقدما ، كما أستطيع أن أحدد شدتـــها بمقياس ريختر المطور ،فقد طورت أحدها ليناسب الاستخدامات العائلية والخلافات الزوجية، وسوف أتقدم به وأحصل على براءة الاختراع وأبيعه لكل الأزواج مجانا تعاطفا معهم وتشجيعا لـــهم على الاستمرار فى الحياة ، فلن تنتهى الزلازل ولا البراكين ولا الأزواج المظلومين بزوجاتـــهم بعد الأربعين .

***


ديك الهـــــــواء

عند ما قابلت حميدة كانت فتاة رقيقة توســمت فيها الخير، فتقدمت لأهلها أطلبها ، وكنت صغير السن بخيرة ضعيفة فلم أستطع أن أرى أكثر مما حولى ، وكنت ألتمس الأعذار دائما لـــها ولأهلها جميعهم ، ولم يلفت نظرى أنـــهم تعجلوا فى البداية فإن الخطبة استمرت شهورا ثلاثة فقط بعدها عقد القران وكأنـــهم أزاحوا عنهم جبلا . أفهمونى أنه تقدم إليها خطاب عديدون ، ثم اكتشفت بعــد سنوات أنه لم يتقدم لها سوى واحد فقط هو أنا.

يوما كنت أحادث خطيبتى بالتليفون من البلدة التى أعمل بـــها وســمعتها تـــهنئنى وأخبرتنى أن والدها استطاع أن يجد لنا شقة وستكلفنى ثلاثـــمائة جنيه فقط . الحق أنى وجدتـــها أكثر من رائعة وأجمل مـــما تخيلت، والأحلى أن حميدة قدمت لـــى المفتاح فى سلسلة رقيقة .

الآن أستطع أن أقول أنـــهم أحرزوا الهدف الأول فقد كان عقد الشقة باسم حميدة . اكتشفت ذلك بعد شهور طويلة عندما دق جرس الباب واستلمت الإيصال الأول للسكـــن ، وتلى ذلك إيصال عداد الكهرباء والمياه وعقد التليفون . ولم أهتم فقد كان ذلك لا يشكل أهمية كبيرة فى هذا الوقت وكنت أسافـــر باستمرار ولم يكن فى مقدورهم أن ينتظرونى ، أقنعونى بذلك ثم أخذتنا دوامة الحياة .

بدأت حياتى مع حميدة ومرتبي ستون جنيها عندما كان الجنيه قويا متماسكا وأتاح لي ذلك أن أدفع مهرا محترما ثلاثمائة جنيه وشبكة مائة جنيه أخرى واستطعت أن أسكن بـــمصر الجديدة وأشترى الكماليات والحصول على تليفون أيضا ، وبعت من ميراثى فدانا لأستبدل بسيارتى سيارة جديدة وهكذا اكتمل المستوى الاجتماعى الذى تعودته . عروسى انبهرت بما وصلت إليه ولم تكن تحلم بأكثر مما كانت تعيشه فى أسرة متوسطة الحال فكانت الأولى فى عائلتها التى سكنت فى حى راق ولديها سيارة وتليفون وزوج قادر أن يحقق أحلامها .

عندما حل اليوم الموعود كانت الأمور بين العائلتين متوترة بسبب الطلبات الإضافية التى تطلبها أم حميدة . فألغى حفل الزفاف وزفت العروس فى

حفل بسيط وسط النظرات الملتهبة والتلميحات الجارحة من الجبهتين حتى أنى أصررت ألا أدعو أحدا من أهلها إلى السهرة .

بعد أن أصبحنا وحدنا تملكنى الندم بشدة أنى تزوجت حميدة ولم يخدعنى ساعتها وجهها البرئ ولا أسئلتها التى تحاول أن تبدو ساذجة محاولة الفكاك من إحراج الموقف ، وأقسمت كثيرا أنى رجلها الأول وبكت حتى نامت. وأحرزت حميدة الـــهدف الثانى لمباراة عمرها ، وبدلا من اعترافها بالجميل فان حميدة أسرتـــها فى نفسها كل الأيـــام أنى قهرتـــها بتسامحى الذى رأته ضعفا منى لا حبا لـــها .
شهر واحد مر بعد الزفـــاف لتعلن حميدة أنـــها حامل متخوفـــة أن أطلقها وعندما امتعضت ثارت عائلتها ضدى حتى لا أسقط الجنين ، ولم يكن اعتراضي ذا بال لهم فقد أحرز الهدف الثالث على التوالى .

الأمر الواقع كان سياستها ، ولم تكن أبدا لتسأل الرأى أو المشورة . فقط تفاجئنى بالموقف فأضطر أن أقبله حتى لا أثير المشاكل ولكن عندما زاد الأمر عن حده تطلب ذلك وقفة . كان يوما عاديا ككل الأيام وفوجئت أنـــها تطلب نقودا أكثر من المعتاد وعندما ناقشتها عادت لسياستها ، فرفضت طلبها لأول مرة بعد ثلاث سنوات فقـــط من الزواج ، ولـــهذا اجتمعت عصبة الأمهات تتزعمها السيدة حماتـــى وعضوية بناتـــها الأربع وكانت حميدة خامستهم وأصغرهم والتى أقامت الادعاء .
كان القرار فرض الأمر الواقع لغرض الهيمنة والسيطرة والاستحواذ بينما كـــان والد حميدة حماى حماه الله حاضرا الجلسة غائبة إرادته فقد سلبت منه قبلا من زمن بعيد ، وصوت الجميع ضدى بأنى مخطئ ولابد أن أسير على خطى كبيرهم ، ثم تحدتنى حماتى أن أغلبها .

عز على ذلك ، وتداعت إلى خاطرى صور الذكريات بداية من ليلة الزفاف وكل صورة تدفع الكلمات إلى طرف لسانى حتى تجمعت كلها ونطقت الكلمات التى تعنى تغيير حالة حميدة الاجتماعية من متزوجـــة إلى مطلقـــة . قلتها فصمت الجميع ثـــم وجـــموا ورأيت بعض الأفواه تنفتح ثم لا تغلق ثانية ، كان أولـــها فم والد زوجتى. أظن أنى لمحت شبح ابتسامة إن لم تكن بدايتها فقد انصرفت فورا بعد ذلك ، وساعتها ظننت أنى رددت لنفسى اعتبارها بعد ثلاث سنوات عصيبة مرت ، كل يوم فيها أتذكر ليلة زفافى فيمتلكنى الندم والشعور بالضعف ، وأجد المرارة تغلف احساساتى ثم يغلبنى مرة أخرى الأمر الواقع والتسامح وأن كل شئ عند الله باق .

شهران مرا وحميدة طالق استنفدت فيها كل أقاربـــها والأصدقاء والمعارف فى اتصالات ووعود بأن تكون كما أحب ، ثم من أجل البنتين

أعدتـــها إلى عصمتى . التجربة جعلتها تستأسد فقد اكتشفت أنه بكلمة واحدة تعود بعدها بسرعة الصاروخ إلى بيـــت أبيها حاملة البنات فوق كتفيها . لذا كان يجب أن تكون لــــها استراتيجيـــة جديدة حتى لا أفكـــر فى الطلاق أبدا .

أيام قليلة مرت وحنت حميدة للطريقـــة ذاتــــها فالإنسان لا يتغير ، فقط يـــمكنه أن يغير الموقف أو يتشكل فيه أو معه ثم يرجع إلى ما كان قبلا ، وهكذا فقدت الأمل أن أصلحها ولكنها كانت بالتأكيد أمهر منى فقد استطاعت خلال السنـــوات أن تفهم سر قوة الرجل لتسيطر على الأمور .

حميدة لقنت الأولاد كراهيتها لعائلتى ، وافتعلت الغضب تحمسهم غيرة لكرامة أمهم ، فكرهوا كل من يمت لى بصلة. فى الوقت الذى كان أقاربـــها يبتعدون باستمرار ، ففقـــد أولادى أقارب الأم والأب معا. عندما خلت الساحة والجيران وخلا الجيب لم يكن لى ساعتها القدرة على الحركة كثيرا.

كنت فى مواجهة حميدة وحدى طول الوقت حيث تحكمت فى أنواع الطعام والملابس وقناة التليفزيون ، ووقت الصحيان والنوم وأماكن النزهة ، وتظل تلعن الزمن والناس وتزفر نارا حتى نلعن معا اليوم الذى جمعنـــا ونكاد نقسم ألا نخرج سويا ، ثم ننام وكل منا ظهره للآخر حتى الصباح ، وتظل منحرفة المزاج أياما عديدة حتى أدمنت تقطيبة الوجه ، وأصبحت تتلذذ بالتوتر والصراخ وجلسات الحساب والنكد ، واكتشفت إنـــها تبتكر الأسباب والموضوعات وتستمتع بمحاولاتى لإرضائها ، حتى صار طعم الحياة مرا كل المرار تدفعنى بقوة أن أبـــحث عن أى إنسان أشكو إليه همومى .

كانت السنوات الأولى مرحلة وانتهت لتنقلب حميدة رأسا على عقب ، ولم تعد تلك الجميلة الرقيقة فقد فتحت شهيتها للطعام . نعم كانت تأكل كثيرا ، أدمنت الطعام حتى تورمت وفقدت جاذبيتها ، واستعوضت ما فقدت بالنقود ، تشترى كل شئ يروق لـــها تعويضا عن الرشاقة المفقودة ، هكذا امتدت شراهتها بعد الطعام إلى النقود ، لأستدين مرة بعد الأخرى حتى تتم أيام الشهر وتصل نقود جديدة تدخل بـــها جمعيات متشابكة لا تنتهى لتشترى ملابس وأدوات لـــها . المهم ألا يكون هناك فائضا أبدا يمكن أن نروح بـــه عن أنفسنا أو ندخره للزمن ، ويبدوا أن قناعتها كانت ألا تترك لى مالا أستطيع به أن أزوغ منها لأى مكان أو أى واحدة أخرى .

تدريجيا وجدت أن ألفـــاظ حميدة قد تحولت لتصبح سوقية فجة تعامل البنات بالشتائم ، وتضربـــهن باليد وأشياء أخرى ، وعندما أظهرت تعجبى قالت إنـــها لم تشذ عن باقى عائلتها ، وكنت أرى ذلك عندهم ولم يجد أنـــها سكنت فى وسط محترم أو أن مدرسة البنات لا تستخدم فيها هذه الأساليب ، ولم تتوقف أبدا بل ربما زادت صفاقة ، وعندما بدأت توجهها لى ، كان من نصيبها

الضرب مرة بعد أخرى ، أبادلـــها نفس ألفاظها فأدمنا معـــا الصراخ والسباب أمام الأولاد والآخرين ولم نعد نحافظ لا على إحساس ولا كرامة لأى منا أبدا .

صراخها لم يكن من نصيبى وحدى أنا وبناتى ، بل كان هناك الجيران والبواب أيضا . لما رأيت ذلك كانت هوايتى أن أثيرهـــا وأجلس أتلذذ من انفعالاتـــها ومخاوفها التى تعذب بـــها نفسها ، وأستمتع عندما أســـمعها تقارن نفسها بالأخريات وتعدد القبـــح فى أشكالـــهم وملابسهم وطريقتهم ، ثم تتيـــه وتختال وتسرد مآثرها وأوجه جمالـــها وقوة حسبها ونسبها وفضلها على حياتى وحاضرى ومستقبلى .

ســـمعت كل ذلك مرات حتى سئمتـــه ، ثـــم اعتادت أن تعيد ذلك كلما أرادت غير عابئة بـــما يحدث لى من تقلصات فكرية ومعوية ، وتعودت أن أراها تقف وتدور أمام المرآة تلبس وتخلع تحاول أن توارى البروزات والنتوءات التى نتجت عن إفراطها فى المأكولات والحلويات والمشهيات ، فهى كانت وأصبحت وستكون دائما أجمل الجميلات حتى بعد أن دفنت ملامحها فى تورمات الخدود والدقـــن والرقبة والجبهة.

كان لا بد لها لتعوض أن تنتقد ، فانتقدت الجميع فى كل موقف ومكان حتى أضافت إلى لسانـــها فوق سلاطته المعهودة والبذاءة التى تعامل بـــها أفراد المنـــزل الانتقاد الدائم لكل شئ وتصرف وتفكير .
أصبحت أفكر وحدى نجاة من انتقاداتـــها اللاذعة الدائمة ،و تجنبت الحديث معها الفترة الأخيرة حتى لا ينتهى الأمر إلى صداع دائم فى عيادة طبيب أعالج الضغط أو الذبحة أو السكر بعد كبتى لكل مشاعرى ، أهـــرب منها لأى شئ يضع بينى وبينها مسافة على الأرض أو الزمن أو الفكر دون أن أفكر فى طلاقها أو السفر بعيدا حتى لا تنفرد ببناتى ويصبحن صورة منها ، وأيضا لأحافظ على الشكل الاجتماعى ، وعندما كبرت بناتى وأصبح لـــهن صديقات حرمت على الجلوس معهن فربما راقت لى واحدة من الصغيـــرات فأتزوجها هكذا كان هاجسها .

سنوات مرت وأنا فقط أكبر . فارق السن بيننا تسع سنوات تعايرنى بـــها فى كل موقف أنى عجوز وهى مازالت صبية ، وعندما وصلت الخمسين احتجت لنظارة القراءة وأصبحت أشكو أنى لا أسمع رنين التليفون البعيد أو قد لا أنتبه لمن يحدثنى عندما أراقب برنامج التليفزيون ، وظهرت شعيرات بيضاء فى رأسى ككل البشر . هذه كانت أعراض الشيخوخة وربما أصابتنى الأنفلونزا أو الصداع فكان ذلك يقلل من أسهمى عندهـــا وفورا تذكرنى أنى أكبر منها كثيرا.

حميدة كبرت معى ولاحظت ذلك ، وكان طبيعيا أن أكبر وتكبــر حميدة وتكبر بناتنا . رأيت نفسى جيدا فــى المرآة وفى عيون الناس وفى وجوه زملائى . المصيبة أنــها لن تعترف أنــها كبرت كأنما ذلك إثم ترتكبه لو ظهرت فى عمرها الحقيقى . هى أزمة لا نجاة منها إن تحدثت ولو بالتلميح عن هذا الموضوع . الآن أستطيع أن أحكى أن وزنــها زاد جدا وبطنها تــهدلت بعد أن حملت مرتين ولم تعتن بنفسها فأصبحت عبئا كبيرا عليها ، واختفى وسطها عندما استقر هبوط صدرها عند البطن ولم يعد ينفع معها المشدات القوية لا لصدرها ولا للبروزات من الأمام والخلف ، وشكواها من سمك نظارتــها الطبية لأن الطبيب لا يفهم عمله جيدا لن تنتهى أبدا ، ثم تخفى تجاعيد الجلد على يديها ووجهها .

كبرت حميدة وصارت امرأة عمرها ست سنوات بعد الأربعين ككل السيدات يزيد عليها اللسان طولا ورغم ذلك أقول تعودت عليها هكذا ورضيت بــها . آه من اضطرابات ما بعد الأربعين ، ضخمها عند حميدة الخوف مــن السنوات . تخاف أن أموت قبلها وتكون وحدها لأنــها رأت الأرامل جداتــها وعماتــها وخالاتــها تخطى عمرهــن السبعين وأصبحن أضحوكة لديها وهــى لا تحب أن تكون كذلك ، والزمن ليس له حل أبدا . لا عندها ولا عند الناس ، سيمر رغم أنف الجميع وهى لا تــملك المستقبل ولا الحياة ولا الموت . هى تملك اليوم فقط . فيلسوفة كانت حميدة .

إذن اليوم لــها ولتبدو فى أجمل وأحسن وأبــهى صورة ، وأهم شئ أصغر سنا . وكما تبدو العجائــز المتصابيات رأيتها عادت للوراء ربع قرن كامل حتى بدت مضحكة تماما مثيرة للشفقة . عندما تطورت حالة حميدة كانت تحكى باستمرار عن كلمات الإطراء والإعجاب بجمالها والمواقف التى تعرضت لــها أثناء اليوم فى الذهاب والعودة ، تنسج القصص عن المعجبين ومغازلتهم لــها بــما فيهم سائقى التاكسى ، وتحكى عمن كان يلاحقها حتى المنزل وينتظر ساعات حتى تطل من الشرفة مرة أو أكثر لتراه واقفا ينتظر ربــما فاز بنظرة إضافية .

ولكى تثبت كلامها فإنــها كانت فى بعض المرات تتأكد أولا إنه هناك رجل ينتظر على الرصيف المقابل ثم تنادى على لكى أراه وكنت أسايرها جبرا للخاطر فى بعض المرات ثم تصدق نفسها . وتكون متعتها أن تعيد على مسمعــى نفس القصة مرات .

حاولت أن أجعلها تقلع عن ذلك بأن أتجاهل ما تقول أو أنــهرها أو أكذبــها ، ولكن دون جدوى فقد كانت تحكى للبنات ، ولم تقتنع أن ذلك يؤثر فى نفوسهن وهكذا زرعت فى فكر بناتى أفكارا غير جيدة . واستمرت تحلــم وتحكى .

أرجعت حكاياتــها إلى إنــها تحب وتتمنى لو حدث ذلك ، وأنها تحفزنى أن أطرى جمالــها ودلالــها وهيئتها ، فكنت أفعل مرغما مرائيا فتنتظر

غير مصدقة ، فأبالغ ولا أصل أبدا إلى رضاها، فتأتى فى اليوم التالى بحكايات جديدة . حتى سلمت تـماما أنـها تحكى أحلام يقظتها تتمنى أن تحدث وتعد لذلك تسريحات جديـدة وملابس أنيقة وعطور نفاذة وتجلس بعد ذلك لتقول ولسنوات عديدة هذه الأحاديث .

كانت داخل حميدة ثورة قوية ورفض كامل للمستقبل ، فهاجت على كل شئ تثبت للجميع أنـها مازالت صغيرة جميلة مطلوبة على طول الزمان وكلفنى ذلك الكثير من أعصابى ومالى والوقت الكثير الذى أحل فيه مشكلاتـها مع كل الناس .وأصبحت تقارن نفسها والأخريات اللائى تزوجن محافظ كبيرة مع فقرى ومرتبى المحدود وجنيهاتـها المعدودة أول كل شهر التى لا تكاد توفى مستلزمات الأناقة فقط . قلت قانـع أنا بـما قسمه الله . قالت أبدا ضعيف مستكين ولا بد أن تتحرك ، وثائرة تدفعنى أن أجلب لـها المال ولاتـهمها الطريقة .

ثورة حميدة استمرت سنوات تغلى رافضة إياى وأولادى وحياتى ، متطلعة لحياة أفضل وأغنى حتى فاجأتنى يوما بمشادة عادية انتهت منها غاضبة وخرجت لتقيم فى بيت أسرتـها حتى أعرف قيمتها وأعدل من أمورى معها .

قلت بركة يا جامع . أربعة شهور نعيم انتهوا بجرس التليفون ترجونى أن ألقاها بضع دقائق وعادت للبيت من أجل أولادنا . فرصتها كانت لتقيم نفسها وتعرف ماذا تريد أن تفعل وكيف يكون المستقبل . أربعـة أشهر كاملة مرت ثم عادت بعدها لتعتذر ثم تقسم أيمانا غليظة أنـها سوف تكون كما أحب وأكثر ، ولن ترفع صوتـها وسوف تبذل كل طاقتها من أجلنا .

رضيت أن تعود وليتنى ما فعلت . بعد أن عادت مرت ساعـات أنـهت فيها تفريغ الحقائب وظهرت ملامـحها التى أعرفها جيدا ، وتنمرت قبل أن ينتصف الليل وبتنا فى عراك جديد على لا شئ أبدا سوى أن حظها فى الدنيا قليل وأنا مازلت فقيرا أكبر منها بتسع سنوات كاملة ، وأن أبيها ظلمها عندمـا زوجها لى ، ولعنته فى قبره لعنات كثيرة وامتدت اللعنات لتفترى على كل الناس ، وكفرت بالنعم التى أفاضها الله علينا معا أو عليها وحدها ، وظلت تعوى حتى خارت قواها ونامت ، وبقيت حتى الصباح لم أنم من فرط الندم أقنع نفسى أن أتحمل النتائج من أجل بناتـى ومن أجل عشرة ربـع قرن من الزمان فى الوقت الذى تأكد لى أنه لا وزن ولا قيمة للزمن ولا للعشرة لا عندى ولا عندها بعد أن تقطع كل ما بيننا .

بعدما مر الزمن أتعجب لغبائى وغفلتى وثقتى الزائدة بنفسى ، وثقتى أن ربع قرن من الزمان كان كفيلا بأن يطهر قلب إبليس نفسه. لقد رأيت

نفسى كديك الهواء فوق برج البناء يدور حسبما تديره الرياح ويستقر إذا هدأت ، هكذا كنت .

حماتى منذ سنوات بعيدة أثارتنى وتحدتنى أن أغلبها، وثارت نفسى وكرامتى وطلقت حميدة بعد ربع ساعة فقط . وبعد السنوات جلست حميدة فى مواجهتى وأثارتنى وتحدتنى وفحشت فى القول وانكسر شئ داخلى، ووجدت أنى لو أبقيت عليها لحظة فلن أكون رجلا بالفعل . فعلتها اللئيمة وأثارتنى وطلقتها هذه المرة بعد عشر دقائق فقد كانت دائما كانت أمهر منى .

دارت الأيام كئيبة، كنت أراقب فيها نفسى وموقفى أحاول أن أصل إلى قرار يريحنى حتى وجدت أنه من الأفضل أن أنهى علاقتنا عند هذا الحد ، وكان قرارى يوافق المدة الــتى أستطيع فيها أن أردها إلى عصمتى فتركت الأيام تمر دون أن أهتم .

حميدة غيرت مفتاح الشقة وعندما اتصلت تليفونيا ردت بناتى بتحفظ واستلمت حميدة التليفون لتقول جملا كئيبة مختصرة . يومها بعد المغرب ذهبت فى الموعد الذى حددته وأطلقت آلة التنبيه وأطلت بناتى من الشرفة ولوحوا بأيديهم.

ساعتها أحسست انـــهم قد انضموا إلى معسكر أمهم ، وبعد لحظة وجدت زوجة البواب تسير فى اتجاهى حاملة فوق رأسها ملاءة سرير تحوى ملابسى وأدواتى فى هذه الصرة الكبيرة ، وشعرت بالمهانة الشديدة فقد بخلت حميدة حتى بحقيبة اشتريها يوما بمالى ، ولولا احتياجى الشديد للملابس ما نزلت من السيارة ولا فتحت الشنطة الخلفية لأضع فيها حاجياتى ، ورغم الضوء الخافت استطعت أن أرى خطا من الدموع على وجه المرأة الطيبة وأحسست بدموعى تخنقنى دون أن تسيل وتريحنى .

رفعت عينى لأعلى ورأيت بناتى رافعات أيديهن فى إشارة بالوداع وتخيلتهن يستغثن بينما كانت حميدة واقفة تراقب ثــم رفعت يدها تلوح وكان من المفروض أن تكون هذه اللوحة عند سير جنازتى تصاحبها أصواتــــهن التصويرية ، وأحسست نفسى وحيدا تماما فأدرت سيارتى ومضيت .

فى اليوم التالى اتصلت ببناتى أطمئن . قالت الكبيرة أن أمها قد تزوجت مساء الأمس ، وجلست أتـــماسك أنفاسي . إذن منذ شهور وحميدة تخطط لطلاق وغنيمة ، وأحنيت رأســـى لمشيئة الله أن تفعل بى حميدة ذلك . الحمد الله على كل حـــال .

المحامى باسما قال أن حميدة لم ترتكب أى خطأ ، ولم تستول على بيتى ،فعقد الشقة والتليفون والكهرباء كلها بإسمها ، وأن فواتير الأثاث والأدوات فى

حوزتـــها ولا يمكن إثبات أنـــها ملكى ، واكتشفت أن الأولاد الذيـــن يحملون اسمى قد اختاروا البقاء معها .

أمس على منضدة في الفندق المتواضع الذى أقمت فيه وضعت أطباق الطعام الجاف ولم أجد لى رغبة فيه فأزحتهـــا جانبا وجلست أفكر أين كان الخطأ ومتى بدأ ، وانزلقت أتذكر أخطائى ، والأهداف حميدة أحرزتـــها من البداية للنهاية.

أخطاء حميدة أعرف أنى كنت السبب فيها منذ قررت أن أتنازل عن حقوقى وتساهلى فى البديهيات لأتجنب غضبها أو صدام المواقف ، واكتشفت أنـــها كانت تحتاج لرجل مـــن نوع مختلف يكبح جماحهـــا فى الوقت المناسب دون أن تلقى به أرضا وتنتصر أمام نفسها وأولادها وأهلها.

حميدة كانت أمامى لا تطرف لـــها عين تطلب حقها يساندها الرجل يقف جوارها آمنا ينتظر ليهنئها ويأخذ نصيبيه الثانى من الغنيمة بعدما استولى على بيتى بكل ما فيه بناتى وزوجتى التى كسبت كل ما كان عـــلاوة على أحلام جديدة لمستقبلها . قضيتها أنـــها طلبت مؤخر صداقهـــا أربعمائة جنيه بسعر الجنيه فى الأمس ، ونفقة العدة ثلاثة شهور علاوة على نفقة المتعة لخمس وعشرين سنة مضت بسعر الجنيه اليوم. أما الخسارة أعيشها كل يوم هى بناتى بعد أن فقدوا الثقة فى أى حقيقة .أسأل نفسى .. هل حميدة على حق فيما فعلته ؟ هل كنت على حق عندما طلقتـــها ؟ أين سأكون فى حفل زواج البنات أو عندما تمرض إحداهن ؟

أعتقد أنها تعرف الإجابـــات ووضعت كل شئ خلف ظهرها . شعارها أنا ومن بعدى الطوفان ولكن بناتى شئ آخر. هذا عندى أنا . أما رجلها جائزتـــها فهو أكبر منها بخمسة عشر عاما ولم يهرم بعد ، وأولاده يشدونه بعيدا عنها وأهلها كلهم يلومونـــها ويسخرون منها ومن أفعالها ، وهى تغالب لمزات الجميع وكل يوم تنسج من أوهامها وأحلامها خيوط قصة فشل زواجنا وتحملنى المسئولية.تعودت الآن أن أجلس وحيدا أعدد أخطائى وأريد صادقا أن أتوقف حتى لا أكتشف المزيد.

***

ابتســـامة غريبــــة

لما ظهر الشعر الأبيض كانت قد تعدت الثلاثين واستطاعت أن تنـــزع بعضه، عندما تكاثر كان الحل عند " الكوافير "، وصبغات الشعر أصبحت عديدة وأنواع جديدة لتوارى الشعيرات السخيفة . مرت السنوات وبدأت فـــى الاهتمام بكريمات البشرة التى تزيل التجاعيد عندما تكون فى طريقها للظهور ، وأصبحـــت تصادق المرآة لتطمئن. لكن المرآة لا تكذب و الحل الأقرب ملابس الشباب فهى تناسب جسمها فتبدو أصغر. تجرأت وارتدت بعضها وخرجت للشارع ثم إلى النادى ثم إلى العمل. تمادت بمزيد من "المكياج" وتسريحات الشعر وبعض الانطلاق. الناس من حولها ينظرون وينتقدون فيما بينهم، ثم لمزوها بكلمات، ثم فيما بعد أسقطوها من حسابـــهم. ليست هى التى كنا نتعامل معها. إنـــها أسيرة الخوف والفكرة. تخادع المرآة والناس ونفسها كل مرة.

انعكس ما تفعله على أولادها وزوجها منذ وصلت الأربعين بعد أن أصبحت مختلفة تماما تبكى كالأطفال وتتمسك بالحلوى والملابس الجديدة تعتقد أنها فى سن تسمح بأن يعجب بـــها الشباب .
من الآن لا تقولى يا ماما أمام الناس. نادينى باسمي فقط، هذا أنسب. لا تمشوا إلى جوارى أو خلفى. اسبقونى واجلسوا بعيدا. ثم أين الشباب. لا أحد يتجرأ أو يغازل الأم ذات الأربعين عاما. كلهم صغار يجرون وراء الصغيرات وهى امرأة كاملة النضج .. مالهم لا يقدرون..!

هذا الغبى إلى جوارها لا يحس أنـــها صغيرة ولا يتحدث إلا فى موضوعات جادة، المصروف والحياة ، الأولاد والدروس والعائلة والسيارة، ولا يلاحظ جمالـــها ولا تسريحة شعرها التى صبغته بلون قاتم. لماذا لم تستطع أن تخدعه.
إنه يعرفها من عشرين عاما، يراقب كل الذى يحدث عبر السنوات بطيئا ويرضى. وهذا التغير الأخير سريع فعلا ولكن فى اتجاه الماضي. لا يستطيع أن يتعامل مع طفلة. بدأ يهملها، وهى أيضا ملتـــه .

لو أنـــها حصلت على الطلاق ربما يصادفها رجل أصغر وأكثر جمالا، وله إمكانيات أكبر وقدرات أكثر، يشترى لها سيارة كبيرة. إن زوجها يحاسبها على مصروف البيت دائما. ولن تدع ذلك يحدث ثانية وسوف تسيطر على كل شئ الزوج والمال والناس. العقبة الوحيدة هذا الغبى إلى جوارها. إذن النكد و الشكوى، ثم البكاء والشجار وطلقنى ونجحت .

تجلس فى النادى تفرز الشباب الغنى الجميل ذو الإمكانيات والقوة ، يعجبها بعضهم. تحاول أن تكون علاقة خاصة. يفلت بعضهم بعد أول لقاء .

الآخرون بعد مرتين، أما الأخير فقد طعنها بشدة عندما أجاب عن أحد أسئلتها في الحوار قائلا "بس يا تانت ".
لا يرون أنـــها يمكن أن تكون صديقة أو خطيبة أو زوجة لأحدهم. السيدات تجنبنها والرجال خافوا وابتأست أكثر فكلهم لا يقدرون وأصبحت وحيدة، فقطبت أكثر وزادت تجاعيد الوجه .

استخدمت ألوانا أكثر وملابس أجرأ، وبدت في صورة رائعة، تخيلت هذا ودارت حول نفسها أمام المرآة. صاحت من الدهشة لا تكاد تعرف نفسها. فرحت، ضحكت، توقفــت وجلست. ثم انـــهارت باكية، فلا أحد يقدر هذا أبدا ولم تفق.

عندما دق جرس الباب وجدت أولادها. بعد قليل عرفت سبب الزيارة . خطبته ابنتها الأسبوع القادم. ستفرح أخيرا. سترى ابنتها تبدأ حياتـــها. ثم كلمات. طعنات، ترجوها أن تتخلى عن بعض"المكياج" والملابس إياها. أهل العريس محافظون، هذا من أجل إسعادي يا أمي .
هزت رأسها موافقة على الكلام. شردت نظراتـــها تحاول أن تفكر. هل تظهر بالشكل الذى تريده ابنتها. أو تصمم على عدم التغيير. من الممكن ألا تذهب . ترددت الأفكار . تحاول أن تختار. كلمت نفسها. بدأت تـــهذى .

أفاقت لتجد نفسها في المستشفى. أولادها وزوجها السابق وشخص آخر معهم يزورونـــها. لا شك أنـــها مريضة. كيف؟ لا تحس ألما. ابتسامتهم غريبة. الغريب ينظر خلسة من خلف نظارته. ليس هو الطبيب إنه أصغر من أن يكون كذلك. وتغمض عينيها ويخرج الزوار ليبدأ دوار من آخـــر، إنـــها سوف تشفى يوما وتفهم كل شئ ... ونامت .

* * *

مرفوعـة سنتيـن

مرت الأيام والأسابيع فى البداية بطيئة متثاقلة تغلفها الكآبة ، فكرت خلالها فى السفر والهجرة وأخيرا الإنتحار. كانت نظرات الناس عندما يتحدثون معى تفيض بالشفقة ثم العجب ، والبعض كانت عيونهم تلمع طمعا فى صفاقة واضحة لا تقبل الشك.

سؤال سألته الكثيرات من قبل ، لماذا المطلقة..؟ إنهم لا يطمعون فى فتاة أو سيدة متزوجة ، فقط يظنون أنها سهلة مادامت ليست فى حوزة أحدهم.
هكذا مرت المرحلة الصعبة، وتعودت الوحدة والحزن ونظرات الشفقة والطمع ، ثم أصبحت لا أبالى.
انطلقت من سجنى الذى اصطنعته لنفسى خوفا من الأقاويل ، ثم رحت إلى كل مكان فى كل وقت لأروى ظمأى للحياة بالطريقة التى أفضلها وليست التى يرسمونها لمن فى مثل حالى. أهلى والجيران والزملاء هم كل من حولى ، هم الذين يجب أن أخاف إنتقاداتهم وألسنتهم وأفكارهم المنحرفة ، ثم جعلتهم أخيراخارج دائرة إهتمامى مادمت راضية عن نفسى ، فتكلموا قليلا ثم انشغلوا بمطلقة أخرى تسكن فى الجوار فنسونى.

زميل لى اقترب كثيرا فى الأيام الأخيرة ، يخطب ودى ولم يفصح، وكدت أضمه لباقى الطامعين إياهم ، إلا أنى فوجئت به يتشبث ويظل إلى جوارى دائما ، ثم يسخر نفسه لى طوال اليوم ينفذ إشاراتى وطلباتى ، واصبح ينزعج إذا غبت عنه ساعة ، لماذا..؟ هل انقلب إلى عاشق ولهان..؟
وعرفت السر ، لقد طلق زوجته وصار وحيدا يبحث عن رفيقة لأيامه القادمة فوجدنى أمامه ، ولم يكلف نفسه عناء البحث عن نصفه الآخر وقنع بما وجد ، ربما لينتهى كالمرَة السابقة ، ليدور يبحث عن أنثى جديدة ، فضممته لمن سبقوه.

فجأة أتموا الترتيبات خلف ظهرى لأفاجأ بجلسة عائلية تضم أصدقاء جددا تجمعوا بالصدفة ، هكذا قالوا. رأيت فيهم رجلا يبحث عن عروس وتوافقت طلباته وتجمعت عندى. عددوا ميزاتى كلها. جسمى ورسمى وعمرى وثقافتى وعملى ، ثم ارادوا أن يرفعوا أسهمى لدى العريس الجديد فأفاضوا فى المديح ، ثم اعلنوه أنه ليس لى أولاد ، فابتسم.
زادتها خالتى حبتين عندما أضافت فى بساطة وتلقائية ساذجة تقول أنى كأنما لم أتزوج قبلا. شرحت وأفاضت أن زواجى استمر فترة قصيرة ، وأنى مطلقة من عامين ، ولم أكن أفكر فى الزواج رغم أن العرسان لم ينقطعوا ، كثيرين كنت

أزيحهم من الطريق حتى أستطيع أن أسير. هكذا مرَة واحدة ... فإبتسم العريس أيضا.

عندما كان الدور على زوج خالتى أن يتحدث ، إختار الكلام عن المال ، فشرح كيف أنى أتقاضى مرتبا محترما ، وأن لى إيرادا شهريا من بيت ورثته مع إخوتى . ويزيد على ذلك نصيبى من إيجار أرض زراعية فى القرية ، وقبل أن يتم الحديث رأيت إبتسامة العريس تتسع أكثر.

نهضت واقفة لأرفع بعض الأكواب والحرج ،حتى أفلت من النظرات الفاحصة والمتسائلة. عندما عدت وجدتهم كلهم كأنما اتفقوا أن يتركونا وحدنا لحظات نتعامل معا فيها مباشرة كى يستطيع إكمال الأسئلة بلا خجل وأن يتقرب. فجلست واقترب.
نظر الرجل فى عينىَ بعمق وجدية يتناول الأسئلة مباشرة ليسمع الإجابات منى بلا وساطة الخالة أو زوجها. سأل العريس عن كل ما قيل قبلا للتأكيد.
كان الرجل جريئا صريحا ، أسئلته عاقلة جامدة ، حادة باردة. سأل عن الفترة التى مرت منذ طلاقى وحتى الآن ، وعندما اجبته أنها سنتان كاملتان ابتسم واتسعت ابتسامته وارتاحت أكثر لما أخبرته أنه لم يعجبنى أحدهم فكل منهم له ظروفه التى لا تناسبنى.

لمَح العريس متسائلا إن كانت ظروفه تناسبنى..؟ سكتُ وفكرت أنها مناسبة جدا وشكله مقبول. إلا أن طريقته لم تعجبنى ، خاصة بعد أن استعاد كلمات خالتى أنه ليس لى أولاد ، وأنه مرت سنتان على طلاقى،
قال إن ذلك مناسب للغاية ، فكل شئ يوحى له بأنى أكاد أكون لم أتزوج من قبل ، وأنى قد استرحت من الزواج عامين ومازلت بصحة جيدة.

تناولت الصحيفة أقلب أوراقها مللا وحيرة خاصة أنهم لم يشركونى فيما رتبوه جميعا. صحيح كان ذلك من أجلى ، ولكنه لا يريحنى. فى صفحة الإعلانات كان هناك إعلانا عن سيارة بيضاء طراز حديث بحالة جيدة ، مرفوعة سنتين ، استغنى عنها صاحبها لدواعى ... ولم أكمل القراءة.

***

تمـام الكمـــال

عصام الصاوى

-١-

تبكى إخلاص متمسكة بالبقاء في بيتها متعللة بمشاوير مدارس الأولاد كــل يوم ، كي تبقــى أهلها بعيدا وتمنع تدخلهم في تربيتها لأولادها ٠ تلوى بوزها وتوكز رشدى في جنبه أن يوافقها وتكون كلمتــه الفاصلة فيثبت رجولته أمامهم٠ أبوهـــــا عندما لم يعجبه الحال قال أنه سيتبادل المرور مع أخيهــا أو المبيت حسب الظروف فلا تقاسى الوحدة٠ يهز رشدى رأســه موافقا فسوف يسافر مطمئنـــا ٠

جمـــــال كان الأقرب إلى رشدى ، يشد على يده ويحتضنه من آن لآخر ليتزود منه قبل أن يفرق السفر بين الأصدقاء ٠ صداقة جمال بدأت من شهور قليلـــة، ورغم ذلك فإنهما لا يفترقان كثيرا ، ويقضيان معظم الوقت يداعبان الأطفال وهما يشاهدان فيلم السهرة في التليفزيون ، بينما تروح إخلاص وتجئ في مشاوير عديدة ولسانها لا يكف عن سب الأيام ، تشكو شقاوة الأولاد والحال المائل والرزق القليــل ، ثم تجدح رشدى بنظراتها الملتهبة كلما مرت أو جلست ٠ وجمال ينتهز الفرصة باستمرار فيهدئ من ثورتها الدائمة بكلمات دافئة تحمل الأمل حتى أصبحا يعدان الأيام لسفر رشدي ٠

انقلبت بسرعة علاقة جمال و إخلاص لتأخذ عمقا بلا خوف بعدما كانت رقيقة هادئة في البداية٠ كــل الظروف مواتية ، تعلم باستمرار مواعيد زوجها والأولاد والجيران وأهلها، ودائما مطمئنة ألا يفاجئها أحدهم٠
جمال كان مقتحما لا يهمه من حولها فهي كفيلة بهم ، وما عليه إلا أن يهدئها ويطفئ ثورتها ثم يجلس أمام التليفزيون منتظرا رشدى الذي تأخر فيدخل صائحا في بهجة أن وجده ويأمر بالطعام ٠
تبتسم إخلاص بمودة وتمــد يدها تربت على كتفه بهدوء ، أو تمسح على شعره بدلال بعد أن اطمأنت تماما وتدلف إلى مطبخها ٠

وجود جمال باستمرار في بيت رشدى كان عاديا حتى أن إخلاص قدمته لبعض الضيوف أنه أخ لرشدي ، وتقبلها كل منهما بابتسامة ، وغض جمال بصره كما لو كان لا يستحق هذا الشرف تواضعا. أولاد رشدى أحبوا صديق أباهم الذي يغمرهم بالحلوى والهدايا والابتسامات ، ويلاعبهم ويحميهم من غضبة رشدى أو أمهــم ٠ليلة سفر رشدى اجتمع فيها الأهل والأصدقاء والجيران يودعونه ، فإن عقد العمل سيمتد سنوات وربما تكون إجازاته قليلـــة ٠

طبيعي أن تكون إخلاص حاملا ٠ تسأل جمال أن يتزوجا ليربى ابنـــه ٠يراوغها قائلا أنه لا يستطيع أن يجزم بأنها حامل منه أو من رشدى ٠ فتعد الأيام والأسابيع تؤكد أنه من صلبه بلا شك، وأنه سوف يشبهه تماما فيفضح ما كان ٠ وأنها في هذا الحال لا تأمن على نفسها ولا عليه من انتقام رشدى ، وأن لذلك عواقب وخيمة ، تخاف أن يقتلهما٠

يحتضنها جمال في هدوء ويربت على يدها يطمئنها أنه لا داعي للتخوف ، وأن تؤجل فكرة الزواج قليلا فتهدأ وتغوص في حضنه تنسى وتتناسى لتنعم بقرب جديد ٠

الجميع حول إخلاص في غياب رشدى يقومون باللازم والرعاية بعد أن استدعتهم في الصباح لما اشتدت آلام الحمل وظهرت الأعراض تعلن أن الولادة وشيكـــة . يرسلون إليه يهنئونه ، ولم يمض سوى أسبوع حتى حضر متلهفا كي يرى ابنه ، وتفاخر أنه يحمل ملامح عائلته العريقة ، ويحدد شكل العينين واستدارة الذقن والخد ، وأرنبة الأنف وشموخها علامة الرفعة والسمو والأصالة ، ثم يحتضن الطفل ناظرا إلى إخلاص في عرفان وحنان.
تروح نظرة إخلاص إلى جمال تلومه أنه لم يوافقها أن تطلق من رشدى ليتزوجا ، ثم تنزلق على شفتيها ابتسامة أن كل شـــئ مضى في هدوء، وجمال يأخذ يدها يضغطها هامسا متى يسافر رشدي ؟

-٢-

تهمس نجوى في دلال وخبث أنه لم يبق سوى طابقين بعدها يكونان في شقتها بلا خوف٠ نادر لا يريد أن يتركها من أحضانه لا يهمه أنه على سلم العمارة مطمئنا أنها الثانية بعد منتصف الليل.
تفتح نجوى الباب في رفق بلا صوت ، ونادر يترقب السلم والأصوات تأتى من بعيد، متأهبا للدخول أو الانصراف إن جد مالا يحـــب٠

نجوى على أطراف أصابعها تسير وتشير إليه أن يتقدم ، فيخلع الحذاء يحمله بين يديه مسترقا الخطى للداخل ، تقوده بثقة إلى حجرتها ٠
قلب نادر يضخ الدم بقوة ، ولهاثه لا ينقطع يكتمه بيده ، وعيناه معلقتان عليها تروح أمامه بين الغرفة المجاورة والحمام في هدوء٠

الخوف يتملك نادر تدريجيا حتى بردت أطرافه ، وتدور رأسه وعيناه ، ودقات قلبه تكاد تفجره. تدخل نجوى وتغلق الباب وتأخذه في أحضانها تطمئنه أن أباها غارق في نوم لذيذ بعد أن تناول دواءه، وأنه لن يستيقظ إلا في الصباح ، وتناولت يده تدفئها٠

خيط من النور يتسرب من تحت الباب٠ تهمس نجوى ٠٠ أبى سيروح للحمام، وربما يأتي ليطمئن فلا تخف ،إنه لا يرى جيدا في الظلام فهو يكاد يتحسس الأشياء.
كيف .. ؟ سيراني مؤكدا. إذا حدث ذلك فإن الرجل حتما سيصرخ من الفزع و يمسك بي و يعالجني بضربة قوية، و ربما لديه سلاح ناري. الأحسن أن أبدأ أنا بالهجوم و أباغته ثم أفر بسرعة قبل أن يفيق. الأمر يحتاج إلى لحظات ارتدى فيها ملابسي فأستطيع الهرب. هذه المرة الأولى التي أغامر فيها، و حظي نحس، وهي الأخيرة و لن أعاود أبدا.

نادر توقف تفكيره. و لم يعد قادرا على الحركة أو الفعل حتى تعلق بصره بخيط الضوء الرفيع تقطعه أقدام الأب العجوز، ثم يده تدير مقبض الباب فى صرير خفيف كالدوى فى أذنيه سمعه.

ينزلق نادر بسرعة إلى جوار السرير من الناحية البعيدة فيلامس جسده العارى البلاط البارد فيكاد أن يصرخ فى الوقت الذي يدخل الأب تزحف أقدامه ببطء نحو السرير.
تمنى نادر أن أمه لم تلده ، أو أن نهار هذا الصبح لم يطلع ، أو أن تنشق الأرض ليهوى بعيدا ، ويجف لعابه ويتخشب لسانه ، وتنقطع أنفاسه وتتقلص أمعاؤه وتتجمد أطرافه من الخوف الذي ركبه والهم الذي ألقى نفسه اليه.

وجد نادر أن أى شئ فى العالم لا يساوى خلاصه في هذه اللحظة. يسأل نفسه لماذا طاوعها أن يأتى وهو يعلم أنها تعيش مع أبيها؟ كيف سيطرت على فكره و سلبت إرادته؟ وأحس أنها لا تتميز عن غيرها و لم تفعل شيئا أبدا سوى أن دعته فقط، فوجدها سهلة و أتاحت له الفرصة فانتهزها.
تمر الثوانى متباطئة والأب يعد يده تحكم الغطاء علي جسد نجوى العارى ثم يستدير ببطء يغلق الباب حتى لا يتسرب تيار الهواء فيؤذيها. اطمأن الرجل ومضى إلى سريره فى هدوء، بينما يد نجوى تمتد لتتحسس جسد نادر البارد تجذبه ليدخل معها تحت الغطاء مرتجفا.

علي ضفاف النيل فى المساء التالي تهمس نجوى في إثارة أن الساعة جاوزت منتصف الليل، وأن عليها العودة إلي المنزل لتبيت وحدها بعد أن سافر أبوها في الصباح.
نادر يفرك يديه فى سعادة بينما تتخابث نجوى متسائلة هل ستتحمل برودة البلاط هذه الليلة أيضا.

-٣-

امتدت يد صفاء تحت الغطاء لتمسك متشبثة بكتف زوجها الراقد إلى جوارها.
انتقلت شحنة الخوف من يد صفاء المرتعدة إلى زوجها الذي فتح عينيه ليرى اللص واقفا أمام الدولاب المفتوح يجمع منه الحلى النقود، ليتجمد مع زوجته فى نظرة طويلة يراقبان فيها.

استدار اللص بخفة يحمل بين يديه غنيمته و يضعها في كيس من القماش أعده، وعيناه تدوران حوله لينتقى ما سوف يضيفه وتتوقف عند أربعة عيون مفتوحة ينعكس عليها الضوء الخافت الداخل من الباب.
عندما تأكد اللص أنهم راؤه، خطا خارجا ناظرا إليهم أن ابقوا كما انتم حتى انصرف، ولم يحتاج إلي تهديدهما بأى طريقة.

خرج اللص من شباك المطبخ كما دخل، ولم يكلف نفسه عناء البحث عن المفتاح لفتح الباب، واستغرق الأمر لحظات.
وصل اللص إلي الدور الثاني هابطا متسلقا المواسير، عندما صرخت صفاء تنادى البواب الذي تقع حجرته في الحديقة أسفل مطبخها مباشرة، بينما زوجها يلقى بكرسى محاولا إصابة اللص ليقبض عليه البواب.

خرجت زوجة البواب تصرخ هي الأخرى فى محاولة لإيقاظ الناس ليشاركونهم القبض علي اللص. لكن صرخاتها الليلية لم تكن كافية ولم تسفر إلا عن إظهار فزعها وحدها و خرج البواب بنفسه ليضع يده على فمها يمنعها من الصياح جاذبا إياها للداخل

قائلا دع الملك للمالك، ولم يهتم بالنظر إلى فوق حيث صفاء تنادى وزوجها يواصل إلقاء الأشياء في اتجاه اللص الذي أنهى نزوله و جري بسرعة إلى الخارج.
مرت الساعات ورفع آذان المغرب عندما كان اللص جالسا أمام باب المنزل مع البواب يتفاوضان حول موعد وطريقة تسليم الغنيمة، وزوجة البواب تقدم كوبين من الشاى المضبوط لزوجها ولضيفه الذي قدم إليهما من مكان بعيد.

***

أستـاذ رانيــة

كان نزيه فراج فى طفولته تعسا ، يعانى مضايقات الأولاد عندما يعيرونه بقصر قامته وجسده النحيل ، ويحزن أكثر عندما ينظر إلى المرآة ويقارن ، ليجد أنهم على حق ، ويرى نفسه قبيح الشكل أكرت الشعر، ذو جبهة ضيقة وعينين صغيرتين غائرتين مع أنف طويل رفيع.
هكذا كان يحس دائما أنه مختلف ، يحاول أن يوارى عيوبه باندماجه فى ألعابهم، ويسايرهم ويسخرون، فيتعمد ألا يظهر غضبه أو يغضبهم، ويعود ليبكى وحده يعانى نقائصه فى صمت ، ثم لا يجد حلا إلا أن يتداخل معهم أكثر ليتجنب مضايقاتهم المستمرة.

حدث التحول الكبير فى حياة نزيه عندما بلغ خمسة عشر عاما ، فقد دخل عالما جديدا ، وعليه أن يعبر شريط القطار فوق المزلقان صباح كل يوم. وكما يتصور أن يكون الصراط المستقيم فاصلا بين الجنة والنار ، وكما يفصل نهر النيل بين الزمالك وبولاق أبو العلا، فإن القضبان الحديدية هى الفاصل بين حياتين ، وشريط القطار يفصل بين شرق المدينة المتحضر وغربها العشوائى الذى يعيشون فيه.

عاش نزيه عمره كله غرب القضبان الحديدية. وعندما اصبح يعبر الشريط كل يوم ليتجه إلى المدرسة الثانوية ، كان قد كبر ووعى واستطاع أن يلحظ الفارق ويسأل عن الأسباب ، ويحس بالانفصام عندما يعبر وتختلف الأشياء.
غرب الشريط يوجد أهله وناسه وحياته العادية ، فيأكل معهم ويمشى ويعارك أنداده ، وعندما يكون فى الشرق فعليه أن يتقمص شخصية أخرى تنكر كل ما ينتمى إلى غرب الشريط ، ولابد أن يرتدى ملابس تليق وحذاء لامعا ثم يتصرف كما يفعلون فى الشرق ، والفاصل كبير ومرهق وفيه أشياء تبدو كالمستحيلة.

حلم نزيه أن ينطلق ، وإمكانياته محدودة ، ووالده عم فراج يشقى فى عمله بالمقهى ، ويبذل مجهودا كبيرا ليسد الأفواه حوله ، ثم زاد عليه المصروفات الجديدة لتعليم نزيه. استمرت المعاناة سنوات ثلاث تضخم فيها الحلم ،وخيبة الأمل الدائمة تتورم كل صباح ، عندما يقف نزيه أمام صف ماسحى الأحذية الجالسين إلى جوار سور المزلقان لينظف حذاءه قبل أن يتجه إلى الشرق ويدخل إلى الجانب الأرستقراطى بالصورة اللائقة. كان ذلك يشغل باله باستمرار ، حتى أنه يحتفظ بمنديل خاص لهذا الغرض ، ليرضى عن نفسه وتشتد ثقته أنه غير مختلف، ثم يخطو ليكمل اليوم هناك.

حديث زملاء نزيه فى السنة الأخيرة كان يدور فى موضوعات كثيرة ثم يتوقف دائما عند موضوع بعينه . كل منهم يروى ويعرض قوته ومهارته وحكاياته مع الجنس اللطيف ، وكلهم لهم صديقات ويرسلون إليهن النظرات والخطابات ، ثم يقابلون البنات عند المزلقان أو النواصى وأمام مدارسهن ساعة الانصراف. عالم جديد بدأ يطل على نزيه ، وعندما آن الآوان كانت له تجربة.

تجربة نزيه لم تكن بعيدة ، بل أقرب إليه مما يتصور وأسهل من كل الحكايات التى ظلوا يحكون عنها. بسيمة بائعة الخضروات فوق قفص عند ناصية الحارة تضعه أمام باب حجرتها. كانت أكبر منه ببضع سنوات. لفت نظره قوامها وخفة حركتها. وأعجبه أكثر جلبابها المفتوح يظهر منه بعض صدرها يثيره ويحرك أفكاره وشوقه ، حتى تثاقلت خطواته عند الناصية يركز نظره كثيرا عليها. وهى تراه وتبادله النظرة المتسائلة ثم تبتسم فى مكر ودلال.

بسيمة لم تكن جميلة ، كانت سمراء ناهدة بابتسامة حلوة وعين واحدة والأخرى فقدتها من زمن. تعيش وحدها مع أخ ترسله دائما فى مشوار بعيد وحجرة بسيمة لها مدخل وحدها على الحارة. يوما ابتسمت بسيمة واتجهت نحو الباب ووجد نزيه نفسه يتبعها ودخل خلفها ليجدها فى انتظاره ، وكانت تجربته الأولى.

تتنهد بسيمة وتهمس ثم تلهث فى أذنه وتتلفت حولها خائفة تثيره أن يتمسك بها. ودقائق ثم يظهر نزيه مرَة أخرى فى الحارة ينسل بهدوء. ولم تكن بسيمة بعد ذلك تكلفه سوى جنيها واحدا يضعه فى جيب القميص وتأخذه بخفة ودلال ، مبتسمة تتصنع الخجل تدسه بسرعة فى جيبها توصيه ألا يتأخر عليها فى المرَة القادمة.

نزيه أدمن بسيمة ، يزورها مرتين كل أسبوع ، وقد يزيد عليها مرات تشير فيها إليه أنها تحتاجه. هكذا مرت مراهقته فى يسر منتظمة خالية

من الأحلام والطموح ، مليئة بحكاياته عنها عندما يختلى بها الدقائق السريعة يفرغ فيها شبابه من توتره المحموم ، لذا لم تحتل الفتيات الأخريات مكانا عنده أبدا ، دائما بسيمة كانت تشبعه دون أن يتورط معها. حتى كانت ليله أقنعه أصدقاؤه أن يشرب البيرة ، فأفرغ فى جوفه زجاجتين كاملتين لأول مرَة ، وعاد ورأسه يدور ليجد بسيمة واقفة أمام بابها وأدخلته.

ليلتها اكتشف أنها ليست عذراء ، وعندما حاول أن يتكلم وضعت يدها فوق شفتيه ونظرت إليه بعينها الواحدة ، ففهم أن هذا سيكون سرا بينهما . ولما عاد بعد أيام لم يحاول أن ينالها كالليلة الأخيرة ، وعاد لممارسته الأولى معها ، يداعبها فى لمسات محمومة حتى يشبع فى دقائق ثم يتركها وكانت لذته معها دائما فى علاقة مبتورة ، فلم يجد فى تلك الليلة أنها ترضيه . واستمر على ذلك ، فتربعت بسيمة فى وجدانه حتى اصطحبها إلى المستوصف ، ثم اشترى لها عينا زجاجية لم تزدها جمالا ولكن ربما قللت قبح وجهها فى عينيه. كان نزيه عندما ينفرد بها يحس أن الدنيا كلها له ، فهى تثيره بطريقتها وتقتحم أنفه رائحة العرق الممزوج بالتراب مع رطوبة الحجرة وظلامها ، وارتبط ذلك بطعم اللذة المسروقة فيجدها أحلى من كل شئ حوله.

نزيه حلم دائما أن يلتحق بكلية الهندسة ، ولكنه وجد نفسه فى النهاية فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب ، ساعتها بدأ عم فراج حكاية كبيرة ، يريده أن يدخل الحياة بشهادة متوسطة، ليشتغل ويساعده كما يفعل باقى الشباب. تدخل خال نزيه ليقنع عم فراج أن يتركه يكمل تعليمه ، ويعمل بعد الظهر بأحد المحلات ، ليحصل على تكاليف التعليم ويساهم فى مصروف البيت ، وحلت المشكلة الكبيرة واستمر نزيه فى دراسته ، وأيضا تواصلت زياراته لحجرة بسيمة بعد أن ينتهى عمله فى المساء.

عالم الجامعة كبير ومختلف ، أدار رأس نزيه ووقف مشدوها أمام كل شئ ، تصارعه أفكار الجانب الغربى وتشده آمال الشرق أن ينتمى إليه ، ترهقه المواد التى يتلقاها ، ويرهقه أكثر عمله بعد الظهر ، وتحبطه عودته إلى الحارة كل ليلة ، ولا يجد عزاءه إلا فى أحضان بسيمة تهدهده لينام بعمق حتى الصباح التالى ، ومرت سنوات دراسته فى الجامعة ينجح بالكاد ، وينهل من جسد بسيمة بطريقته الفريدة ، حتى أصبحت ثابتة لديه مفارقتها ، وكانت تطلب أحيانا أن يصحبها فى نزهة على شاطئ النيل أو الذهاب إلى سينما مرمر ، وكان يضطر أن يطيعها، فكان يقابلها بعيدا ، ويختلس نزهته معها ، خجلا أن يراه أحد ، ثم ينطلق إليها فى المساء كعادته.

أرادت أم نزيه ، بعد أن حصل على الليسانس أن تفرح ببكريها ، رشحت له منال ابنة أخيها زوجة له، وعددت مزايا جمالها وأدبها وحسبها ،

ترغبه وتضغط عليه وعلى فراج أن يخطبها له قبل أن يفوز بها عريس مجهول ، ورحب الخال واشترط عقد القران بدلا من الخطوبة فليسوا فى حاجة لها فهم أهل . بسرعة وجد نزيه نفسه يحمل فى إصبعه دبلة ذهبية وفى جيبه وثيقة زواج بعد تخرجه بشهر واحد، وأجلوا الزفاف بعض الوقت.

تردد نزيه أن يخبر بسيمة بالأحداث تخوفا أن تثور عليه رغم أنها لم تفاتحه فى مسألة الزواج ، وعندما حكى لها استمعت ولم تتأثر كثيرا ، ولكنها حذرته ألا يبتعد عنها فهى دائما تنتظره وستكون له فى كل الأحوال. لم يكن نزيه فراج يضع فى اعتباره التقلبات السريعة فى حياته الخاصة التى تحدث فجأة وتغير من نظرته للموضوعات والأشياء والناس ، فقد أراد أن يكون مهندسا ولم يستطع ، وأراد دائما الخروج من الجانب الغربى ولم يتحقق ذلك ، ويبدو أنه لن يتحقق بعد زواجه من ابنه خاله والذى يسكن إلى جوارهم. زاد على ذلك الوظيفة التى تقدم لها فهى فى الجانب الشرقى وعليه أن يستمر فى عبور المزلقان كل يوم ويقف أمام صف ماسحى الأحذية الذين يزيلون التراب ليبعدوا عنه شبهة الجانب الغربى من أجل وظيفته بمدرسة البنات الخاصة ، فقد عينوه لأنه متزوج ، هو كتب ذلك فى خانة الحالة الاجتماعية بطلب التوظيف. وكان ذلك هو التغير الثالث الذى يتعرض له خلال أربع سنوات متتالية.

مدرسة البنات شرق الشريط ، وكل البنات هناك من أهل الشرق. ملابسهن جديدة وشعورهن لامعة وأدواتهن فاخرة وكلامهن رقيق. ويتقمص نزيه الشخصية المناسبة ليخلعها عند عبور المزلقان فى اتجاه الغرب ثم يغيرها فى الصباح فى طريقه للمدرسة. دائما كان يرى البنات عيونا وآذانا يراقبن كلماته وحركاته . يخاف ألسنتهن إن أخطأ ، ولا يتبسط معهن أو مع زميلاته ، لكن عينيه كانت تسبق دائما إلى فتحات الملابس تصطاد بنظرة ما يجب أن يختفى ليتلذذ شفويا بما يراه ، يخزنه بذاكرته فى جانب الجنس اللطيف لتشتعل رغبته أكثر ويلتصق فى علاقته مع بسيمة التى لم تفارقه خلال هذه السنوات ، حتى أصبحت المرأة محور اهتمامه الوحيد ماعدا منال التى تزوجها على الورق فقط ، وصارت مرفوضة داخله . يتطلع ضعيفا باستمرار إلى بنات الشرق دون أن يخطو ، ويخلص بأفكاره إلى معجزة تجعله يهجر الغرب للأبد.

تكاليف الحياة غالية ، والحمل ثقيل على عم فراج الذى اصبح يرنو باستمرار إلى مرتب نزيه محاولا انتزاع أكبر قدر لمواجهة مسؤليته عن أسرته المتضخمة. الحل كان العمل الإضافى بعد الظهر وهذا غير مناسب فقد تغير الموقف. المتاح الآن الدروس الخاصة. إذن لابد أن يتواصل الأداء صباحا مع بعد الظهر ودائما فى المساء. احترف نزيه الدروس الخصوصية للبنات وكون مجموعات من تلميذات فصله ثم من الفصول الأخرى ، وأخذ يتنقل بين بيوتهن بعد انتهاء فترة المدرسة ، والعدد يزداد والمال ووقته أيضا فى الجانب الشرقى.

لما تغير موقف نزيه لمَح له خاله أن الوقت قد حان ومن العبث الانتظار. نزيه كان قد بدأ مخططا ليجعل منال تطلب الطلاق قبل الزفاف حتى لا تتطور المشكلة مع خاله إلى أكبر مما هى عليه والجميع يحسون أنه لا يريدها ، فافتعل مشكلات صغيرة متتالية ، وحفاظا على العلاقات الأسرية اقترح خاله فى جلسة عائلية إنهاء الزواج الذى لم يبدأ قانعا بفوزه بابنته كما هى يستطيع أن يزوجها من رجل يقدرها. وافق الجميع لتنتهى معاناة نزيه بحمله الذى لم يحمله أبدا ، وشعر أنه تحرر من قيد تورط فيه بسبب لهفة أمه أن تزوجه وأبدى الأسف ، ولكنه كان يرقص فى داخله، واحتفل بذلك ليلتها مع بسيمة خلف باب حجرتها المظلمة الرطبة بطريقته التى يعشقها.

دارت السنوات دورتها ، وكأن نزيه مسير ، أيامه ولياليه يقضيها فى عبوره من وإلى الشرق مهموم دائما. يتوقف عند بسيمة التى لا تحمله الكثير ، يضع النقود فى جيب القميص ليلهث قليلا ثم يمضى فى نشوة سريعة ليكمل باقى مشواره. يرى أن بسيمة لا تضارعها أنثى أخرى ، حتى أنه لم يفكر أن يحاول مع غيرها ، فلم تقابله التى تغير نظرته. لما انتدبوه ليراقب الامتحانات فى بلدة بعيدة ، نال منه الشوق كثيرا عندما احتاج إلى بسيمة وظل يعد الأيام حتى عاد. وظلت حياة نزيه على وتيرة واحدة ، يحس أنه غير قادر على تغييرها فاستسلم متبرما ، حتى كان يوما شهد لطمات متتابعة أفقدته رشده.

يومها كان الوقت عصرا ونزيه يصعد السلم فى بيت إحدى طالباته سارحا بخياله حتى وجد نفسه فوق السطح. فى ركن كانت زوجة البواب جالسة تغسل بعض الملابس ، مطمئنة أن أحدا لا يصعد ، وفوجئت بنزيه يقف محملقا فيها فاتحا فمه مشدوها مما يراه منها. ويبدو أن ذلك أسعدها فابتسمت وقامت إليه مرحبة قائلة أنها تعرفه فهو أستاذ رانية. ضحك نزيه قائلا أنه مدرس رانية. كانت المرأة قد اقتربت وتبادلا الكلمات ، هو يعتذر عن سرحانه وهى ترحب متمسكة أن يستمر اللقاء فتشجع ووضع يده حول خصرها فتحركت به إلى الداخل.

كانت الفرصة الفريدة التى أتيحت له سهلة مرحبة ، إلا أنه رغم رغبته لم يجد له عزما ، ووجد نفسه غير قادر ، وارتخت حواسه وأعصابه بينما يحاول دون جدوى والمرأة تنظر وتنتظر وتتعجب ثم أتاحت الفرصة أن يلملم نفسه وينسحب وصاحت مودعة مع السلامة يا أستاذ رانية وضحكت بخلاعة أثارته حتى أحس أنها تركله على مؤخرته هازئة من تخاذله الشديد وهمته التى ضاعت فجأة . نزيه نزل السلم يكاد يجرى فوقه حتى توقف عند شقة رانية يلتقط أنفاسه قبل أن يدق الجرس.

دخلت الصغيرة رانية حجرة الطعام تحمل بين يديها الكتب والأوراق ، وجذبت كرسيا إلى جوار الأستاذ نزيه الذى راح يراجع واجباتها بعقل شارد محبط ، فلم يمض على ما حدث سوى بضع دقائق ، وأحس أنه لابد أن يثبت لنفسه رجولته التى خذلته.

بينما كانت رانية تقلب الأوراق كان نزيه يحدق فيها كأنما يراها لأول مرَة ، واستطاع أن يرى الفارق بين رانية وزوجة البواب ، ورأى شفتيها كأنما مرسوم عليها دعوة لقبلة.
بدأ خياله ينتعش، فمد يده مشجعا وربت فوق كتفها ، ثم ارتاحت فوقه لتنزلق مع كل سؤال حتى استقرت فوق فخذها ، والصغيرة لاهية عما يحدث منهمكة ، وتعودت يده فوق جسدها ، وشجعه ذلك أن يتطاول ثم يعبث ويعربد ، ورآها وقد استسلمت خجلى محرجة تغمض عينيها ثم تنزلق رأسها لترتاح فوق المائدة، ورأى دعوة للقبلة مازالت مرتسمة فوق الشفاه فتجرأ أن يقترب.
يد ثقيلة هوت فوق رقبته لتصدم رأسه بالمنضدة ، ويفيق ليجد الأخ الأكبر يستعد لمعاودة الضرب. فتراجع لينسحب بينما الأخ الثائر يصرخ مهددا بتسليمه للشرطة ، ولما حضرت الأم على صوت العراك اشتركت مصممة أن تفضحه ، وانسلت رانية من بينهم إلى الداخل وتركته يلقى مصيره.

أيقن نزيه أنهم جادون فحاول تهدئتهم ، يلعب بالكلمات حتى اقتنعت الأم أن تبليغ الشرطة سوف يزيد الأمر سوءا ، فاكتفت بأنها ستبلغ ادارة المدرسة بما حدث ، حتى يحتاط الجميع منه ويأمنون شروره على بناتهم.
نجا نزيه من الموقف الصعب ، وخرج لا يصدق هذه النهاية. وتحطم أمله أن يستمر مدرسا يوما واحدا بمدرسة البنات بعد هذه الواقعة ، ومضى كأنما يزحف فوق أرض الطريق بائسا يحمل نفسه ما حدث فى المرتين ، يكاد يشد شعره من الغيظ أن القدر لم يسانده ، وسار على غير هدى ، يتلمس أن يقضى الوقت بعيدا حتى موعد عودته إلى بسيمة فهى الملاذ الذى عنده يشعر بالراحة والصدق.

وصل نزيه فراج إلى ناصية الحارة بعد منتصف الليل بنصف ساعة ولاحظ الهدوء يشمل المكان وقد دخل الناس بيوتهم ولم يجد ما يمنع دخوله إلى بسيمة ، ولابد أنها تنتظره ، فهذا موعده وتلفت حوله ثم دخل.
جلست بسيمة نصف عارية فوق الفراش تبتسم فى بلاهة وتعجب ، تسأله عما هو فيه ، فليست هذه عادته ، ونزيه يلملم ملابسه وحرجه ، يلقى بنظراته بعيدا حتى لا تلاقى عينيه نظرة بسيمة من عينها الواحدة.

أدرك نزيه أنها الطامة الكبرى ، وأنه يقف على حافة العالم ، لقد فقد رجولته نهائيا. زوجة البواب وبعدها بسيمة ، برهانان متتاليان. إذن هذا أمر مؤكد وجلس يمسح عرقه يتلمس سببا للخروج ، فقد ضاق المكان عليه ،

وأنفاسه لا تسعفه أن يهدأ ، يشعر بالارتباك الشديد يتملكه ويزداد ، فقام واقفا واندفع للخارج يطلب النجاة؟ وأوقفته ضحكة بسيمة الساخرة ، وأحس أنها تتهكم عليه هى الأخرى فتوقف واستدار لتموت ضحكتها عندما رأته عابسا متنمرا.
نزيه سيطر عليه الغضب ، وأحس ركبتيه تختلجتان والرعشة تشمله حتى شفتيه ، والدم يرتفع حتى احتقن وجهه ، فسار إلى بسيمة خطوتين ولطمها بقوة ، يؤكد لنفسه أنه رجل تماما ، يؤدبها لتقف عند حدها.

عاد نزيه إلى بيته فى نهاية الحارة وألقى بنفسه فوق السرير وقد قرر أن يقاطع العالم كله ، فلن يترك حجرته ، ولن يذهب للمدرسة ولا لبسيمة ، ولا لأى مكان آخر. وبدا له النوم بعيدا، فلعن الأيام التى لم تعطه شيئا ، وأفاضت على الآخرين الوسامة والمال والقوة والنساء والمناصب. تتبادله الأفكار والكوابيس لايحس إن كان نائما أو يقظانا يشعر بنفسه دميما فقيرا ضعيفا عاجزا، وتذرف عينيه دموعا ساخطة حانقة.

استيقظ نزيه ليجد أمه واقفة إلى جواره تهزه بعنف ورأى إخوته يحيطون به ، ليفاجأ أن الشرطة بالباب تطلبه؟ وعندما وصلوا به إلى ناصية الحارة عرف الخبر. لقد وجدوا بسيمة مقتولة فى حجرتها ، وصرخ ملتاعا محاولا الاندفاع الى مكانها لكنهم منعوه.

صدمه الخبر ، وأفقده الاتزان أنهم يتهمونه بهذه الفعلة. تجمع الكثيرون فى مبنى النيابة ، كان هناك بعض شباب الحارة وآخرين ، والكل يدافع عن نفسه أنه لم يقتل بسيمة . رأى حوله صبحى النجار ، وفرج المنجد ، وأسامه صاحب مكتبة الفيديو، وسلطان صبى معمل "الطرشى " وعبدالرازق سائق عربة الخضروات، وياسين بائع حلويات الأطفال ، وسيد الجزار، وإثنين آخرين لم يتعرف عليهما ، اتهموهم كلهم . دار نزيه يسألهم ، وكلما سأل اكتشف أن كلا منهم كان يتردد على بسيمة يعتقد أنه حبيبها الوحيد . لقد ظن أنه وحده فى قلبها وعرف الآن أنه كان فى قلبها متسع للجميع ، وأدرك لماذا كان أخوها دائما فى مشوار بعيد ، وتضاءل حزنه لمقتل بسيمة ، وجفت الدموع وظل السؤال يدور فى رأسه من الذى قتلها.. ولماذا ؟

الأحداث صدمت عم فراج أبو نزيه ، فمرض ولزم البيت يدعو الله ألا يكون ابنه هو القاتل ، فالجميع يعرفون أن بسيمة كانت تدعو الشباب إلى حجرتها ، وكثيرون يترددون عليها ومتأكد هو من أخلاق نزيه وأنه لايمكن أن يكون مثل السفلة ، وينتظر خروجه بفارغ الصبر .

لما رجع نزيه صدم والده أنه لن يعود للمدرسة ، وبكت أمه فلم يعد بالبيت أى نقود ، وكان إجباريا أن يتوجه إلى المقهى ويحتل مكان أبيه حتى يسد حاجة الجميع. ولم يعد يقف أمام صف ماسحى الأحذية عندما يعبر المزلقان إلى الشرق ، ولم يعد يرفع عينيه إلى فتاة أو امرأة ، فقد اصبح الجميع سواء فى نظره ، والعالم ملئ بالشرور ، ولا يجب أن يغامر مرَة أخرى ، حتى لاتصرخ فى أذنه ضحكة ساخرة متهكمة.

***

وعليكم النســـيان

ورقة جديدة مصقولة من فئة العشرة قروش ألفــها بعناية ، وأجعلها أنبوبا رفيعا ، أضع أوله " فوق التذكرة " التى قسمها خالد بالموسى فوق السطح الزجاجى للمائدة .
كل منا له خطان صغيران ، يده الأخرى تسد فتحة الأنف وشمة واحدة طويلة تجعل كل ذرات المسحوق تستقر فى فتحة الأنف اليسرى ، وشمة تالية للفتحة اليمنى .
هكذا آخذ نصيبى كاملا لتبدأ رحلة نشوتى اليومية برفقة صديقى الجديد خالد ، وأتحول من تدخين الحشيش والبانجو إلى خطوط الـــهيروين أشمها فى لحظة واحدة ويمتد مفعولها . أنعم بـــها فى نظافة ، وأفعل ذلك وحدى دون معونة فى أى مكان ، ولا أحتاج للجوزة والفحم ، أو لشخص آخر يؤانسنى حتى أنتشى ، ورغم ذلك لن أترك خالدا ولن يتركنى . شهور طويلة جمعتنا فيها الاهتمامات والهواية والسهر حتى ضاق الحال ، ونفدت النقود ، وجاء وقت كان لابد فيه من أن نخطط معا ، لنجد وسيلة نحصل بـــها على ثمن المسحوق الذى نحتاجه .

أسير مع الناس كل يوم مستقلا عنهم ، كأن الغروب ألقانى وسطهم فى رحلة دائمة. أنفرد عنهم بنشوة وخدر عجيب ، فأخترقهم متفردا عنهم بالأسرار ، تقودنى قدماى إلى ما لانهاية .
أعود إلى طفولتى بلا تفكير ولا هموم أو أحزان ، تاركا التاريخ والماضى والتهديد بالخروج من أى دنيا . أسرى فى الطريق كالروح التى تترك الجسد بلا خطايا ، وتنبعث فى جنباتى ثلوج داخلية ترطبنى .

أنــــا وخالد لا نتورط كثيرا ، نكمن فى المساء نعترض المارة فى جانب الطريق المظلم ، وقد نفوز بحافظة نقود منتفخة أو سلسلة ذهبية . ونغير مكاننا كل ليلة .
فى كل الأحوال ربنا يستر دائما ، ونخرج بتكاليف المزاج وزيادة ، وتعمر جيوبنا والحصيلة تكفى لأن نفكر فى تطوير الكيف للأحسن والأكثر أمانا وشيئا فشيئا تحولنا إلى الحقن ودخلنا من الباب الملكى إلى فضاء اكثر رحابة .

إلى عالم بشندى تحولنا . كل ليلة نذهب إليه فى وكره على أطراف صحراء القاهرة بعيدا عن عيون البصاصين وهادمى اللذات ، نمارس الكيف بلا خوف ولا قيود الى جوار
مقبرة الخديوى العظيم .

يجمعنا مع بشندى الحب الكبير والولاء ، يأخذ نقودنا ويحقننا بالمخدر بحساب ، كل له قدر ما دفع لا يزيد ولا ينقص . هو رجل أمين يراعى ضميره ويخاف علينا إن طمعنا فى المزيد، فأمنا جانبه وأحب نقودنا .

يغرس بشندى سن الإبرة فى جلد ساعدى . ينظر إلى عينىّ بسفالة . أنظر إليه فى رجاء أن يعجل بدفع الإبرة . يضغط فيخترق السن جدار الوريد ، ويندفع " سرسوب " الدم إلى المحقن . أتوسل أن يسعفنى ويضغط العقار . متهكما يقول " أصل أنت ما بتدفعش كويس " .
آهة طويلة ناعمة تخرج منى عندما يصل الأثر إلى مخى . أحس الخدر اللذيذ ينساب ، فأميل على يد بشندى أحاول تقبيلها ، فينزعها قائلا " علشان تعرف مقدارى .. بحبح أيدك شوية فى الفلوس وأنا أريحك " .

تروح أفكارى لأيام بعيدة عندما كانت كل الأمنيات تتحقق ، أبى كان قادرا أن يحولها إلى واقع أمسكه بيدى ، عرف أن المال يشترى كل المتع والأحلام ، فوفره لى دائما ، ثم تركنى ورحل .
حنان كانت حلم حياتى . فى الكلية تعارفنا وبمالى دخلت الى أهلها فرحبوا وأصبحت إمراتى وفازت بى ، وخالها وفر فرصة العمل بعد التخرج ، ثم كان بعد ذلك ثلاثة من الأطفال يشدوننى إلى تحت بطلباتهم الغريبة والكثيرة حتى سئمتهم مع أمهم جميعا .

" الله يخرب بيتك يا ناقص .. ياخايب .. دة اللى بناخده منك " تصرخ حنان بهذه الكلمات كعادتها فى الفترة الأخيرة ، وهى تنزاح دافعة إياى بعيدا فى الفراش .
الغبية لا تدرك مدى نشوتى عندما يكون مزاجى عاليا "والصنف تمام " ، المفروض أن تهيئ لى ما أحب حتى ترتاح . أتركها وأدخل الشرفة ، أطل على الناس ، أفكر فى أحوالهم متعجبا أنهم لا يدركون كيف تكون السعادة ؟ بينما تصل إلىّ نهنهات حنان ونحيبها ودعواتها علىّ بالسجن والشؤم والخراب ، يحملها نسيم المساء الجميل .

حنان يحلو لها الكلام والعتاب والحساب ، ونحن فى طريقنا إلى أى مكان . تجلس إلى جوارى فى السيارة تشاهد الطريق والناس وتتداعى أفكارها ، وأنا مشغول بحالى وزحام الطريق ، أخاف أن أصدم أحدا أو أحتك بسيارة أخرى . تنساب الكلمات من بين شفتيها فى سهولة ويسر شامتة أو ساخطة تسب الزمن والظروف والناس وأنا أولهم ، وترى أنى سبب الشقاء فى كل هذا العالم الواسع ، ثم تصرخ لائمة ، وتمد يدها لتجذبنى من يدى أو ملابسى إذا خطر لها ذلك لتلفت اهتمامى إليها . ودائما أرجوها أن تقول من الكلام ما تحب ، ولا تلمسنى عندما أقود السيارة ولا تستجيب أبدا .

زملائى يتجنبوننى ، وعندما يضطرون للتعامل تكون أقل الكلمات ثم ينصرفون ، ورئيسى لا يكاد يرانى إلا وينفجر صائحا يلومنى على تأخيرى كل يوم أو نومى فى العمل . لا أعرف ماذا أفعل ؟ فإن ذلك يحدث رغما عنى وغالبا لا أهتم بما يقولون، فأنا أفضل منهم جميعا ، وهم لا يرون أنفسهم كيف يبدون فى نظرى ، فكلهم عندى لا يستحقون شيئا .
هؤلاء الناس الذين ينسبون إلى الله دائما المسائل التى تفضح عجزهم ، لا يدرون أنهم فارغو القلوب والعقول . يجلسون إلى المكاتب وفى المقاهى يصطادون ما يشغل البال ليلتهم فراغهم القاتل وعيونهم تتلصص جنوبا وشمالا ، وألسنتهم تستعد للقيل والقال للجار الشرقى .
أتمنى لو أن رقبتى طالت وصرت مثل الزرافة ليخرج رأيى بعد حين فأتروى الكلام قبل أن ينطقه لسانى ، بدلا أن يرانى الناس فى دولاب زجاجى واقفا كتمثال من الجبس كاشفا عن بطنى ، والناس يرون كبدى والكلى بينما معدتى تنزف الدم ، وخلفى نسيج لعنكبوت كبير تعلقت به الحشرات .
أتعجب من تفكير عقل الإنسان ، أريد أن أفهم كيف يدور ؟ هل هو مثل الساعة ، أو محرك الطائرة ؟ أو له قانون السيطرة على البعد .

مرت علىّ امرأة بدا وجهها حبيبا إلى نفسى كوجه ضائع بحثت عنه عمرى . أردت أن أتحرك لأتمسك بها فتنجدنى ، أو لأجرب لسانى فإنى لم أستخدمه من سنوات ، وأخاف أن أجده قد التصق بأسنانى .
ابتسمت المرأة ورأيت ابتسامتها تكشف عن أسنانها الاصطناعية وخفت منها وتمنيت لو راحت من أمامى ، ولكنها تكلمت بلسان ليس له صوت .
أفيق على بشندى يركلنى فى جنبى أن أقوم لأغادر المكان . يواصل الركل ، ويدفعنى بيديه خارجا . حنان تصرخ فى وجهى . تفعل ذلك كلما رأتنى . تطلب مالا وطعاما وتسألنى عشرات الأسئلة ، ولا أبالى ، فأدخل لأكمل نومى ، وعندما أفيق تبدأ المحاكمة . لا أهتم بما تقول أو بما تفعل . فقط أقذف إليها بما معى من نقود وأروح فأقضى النهار . كنت أستطيع دائما أن أحصل على المال ، فالجميع حولى يعطوننى ما أطلب إتقاء لإنفعالى وخوفا من صوتى العالى يتجنبون أن أفضحهم .
أعرف أنهم يحسون بالعار بسببى فأضغط ويدفعون رغم مشاعر الكراهية ونظرات القرف أحيانا لا يفتحون عندما يعرفون أنى الطارق ، فأظل أدق الجرس ، " واخبط " الباب حتى أدخل رغما عنهم .

حنان أغلقت الباب دونى ، ولا تدعنى أدخل أبدا إلى بيتى ، وترتسم على وجهها آيات الخوف والرعب إن رأت صديقى معى . الآخرون لم يعودوا يخافون منى شيئا ، بل إن بعضهم يروح يدفعنى بيديه دفعا ، ويتركنى أقول الكلام ، ولا يسمع ، ولا يساعدنى .

لا يـــدرون أنـــى الآن أقاسى محنـــة كبيـــرة ، فما عدت أستطيع أن أحصل على النقود التى يطلبها بشندى فى إلحاح وقد توعدنا أنا وخالد ألا مخدر بعد اليوم إلا بعد الدفع ، والكل أجمع على رفضى وإبعادى ، وأصبحت هائجا كثور ، ولكن لم يأت ذلك بنتيجة ، فانسحبنا إلى قاعدتنا بجوار مقبـــرة الخديوى الكبير نفكر فيما نستطيع عمله للخروج من هذه الورطة.
تضيق الدنيا أمامى ، تصبح أنفاسى قصيرة لاهثة ، وتزوغ عيناى ، أحس بالصهد ينبعث من جسدى ، والبرودة تشمل كل أطرافى ، فأرتعد ، ثم تصيبنى حكة شديدة فأهرش كل مكان تطوله يداى .
عندما يتأخر موعد الجرعة تبدأ المنغصات ثم تشتد وغالبا ما أصل إلى بشندى فى الوقت المناسب ، أو أجد احتياجى عند صديق فى الشارع المجاور ، فأنا أستطيع أن أحقنه لو توفر المخدر عندنا وهذا يحدث أحيانا .
إذا نفدت النقود تكون الكارثة . أصبح كالمجنون ، ولا أرى ما أمامى ، لابد أن أحصل على المال ، فلا أتصور أبدا أنى لن أنال جرعتى يوما ، لذا فإنى متحفز دائما ليكون عندى رصيد الغد أو أكثر وقد يصادفنى صديق فأساعده لأجده يوما آخر .

أدخل عالمى الذى أحبه ، فأجدنى طائرا كرخ كبير رائع ، أدور فوق المدينة كلها . وناسها الكثيرون أراهم صغارا تحتى ، وأقترب لأبحث بينهم عمن أحب ، ويطول بحثى ، فلا أحد يستحق أن أتوقف عنده .
أدخل حديقة رائعة فأجد كل ما أريد ، زهورا وفواكه وأصدقاء جددا . آكل الطعام وآخذ ما أشتهى من المال والملابس من كل الألوان بيضاء ، وحمراء ، وزرقاء ، أتناولـــها كيفما يخطر لى ، ولا أحد يزاحمنى فيغير مزاجى . لا أشتاق للناس أو للأشياء ، فكل شئ مباح كأنى فى جنة ، وتسترخى أوصالى وجفونى فأروح فى نعاس رائع .
أرى ابتسامة رقيقة ترف من بعيد تحمل الفرحة والحنان والشوق للقاء الذى يشبه العناق ، أو أراها عارية متخشبة كالغيبوبة ، وربما تحركت الشفتان ترمى بالتحية فتثور أعصابى فى عالم النشوة البعيد متلهفة إلى حنان الأمومة الذى افتقدت .

اشتدت حرارة الشمس ، وسطعت فى عينى فجأة كأنما نبعت من وراء ألف جدار لمدينتى المترهلة ذات الأزقة الكثيرة الضيقة والتى تربيت فيها كل عمرى . عندما تنبهت كان زمنا كثيرا قد مر علىّ عندما رأيت الغروب الهارب يضرم النار فى سمائها فتحترق ، والجانب الشرقى يدخل فى ليل أسود مفترس .
سأذهب إلى بشندى لأركب جملا أجعله معراجا إلى مدن وسماوات أخرى غير التى يعرفها الناس ولأحس الرعشة اللذيذة فى الظهر وخلف أذنى فأسمع الأصوات كموسيقى غير مفهومة .

أين مكانى ؟ رأيتنى فى الحارة المجاورة لبشندى بعد نهاية الزقاق. ابن الكلب ، لابد أنه دفعنى إلى الخارج ، أو جعل بعضهم يحملوننى ويرموننى هنا . لماذا يبعدنى عن مكانه ؟ كل همه النقود ، وليس لديه قلب مثلنا ، إنه سفاح جبار .
يوما سوف أصفى حسابى معه عندما أملك مالا أكثر ، وأعرف طريق بشندى آخر يحقننى عندما أريد ، وسوف أكون السيد عندما أدفع ، ولكن لا بد أن كلهم كلاب سأشترى المخدر وأحقن نفسى ، واستغنى عن كل بشندى .

أخيــرا لاح الفرج . رأينا عربة تسير بين المقابر بلا أنوار متسترة بالظلام ثم توقفت ، وفهمنا ما سيدور فيها ، وأجمعنا رأينا أن نفاجئهم فى لحظة لابد أن يسلموا فيها بكل ما لديهم.
أتيناهم من الخلف نحنى قامتينا ، نقترب كالقطط دون صوت . رفعت رأسى قليلا أحاول أن أرى. كانوا أربعة ، شابين وفتاتين ، وقد سكروا ، فانطلقوا ، ولم يدروا إلا ونحن على جانبى السيارة نخبط عليها بقوة صارخين فيهم وامتدت يدى تخطف المفاتيح ، والأخرى أشهرت بـــها سكينا كان معى . المساكين أخرستهم المفاجأة ، فوضعوا أمامنا كل النقود والحلى الذهبية التى كانت تتحلى بـــها الفتاتان مقابل أن نتركهم ليفروا . أخذنا كل شئ حتى السيارة وتركناهم بين دروب المقابر لا يصدقون أنـــهم نجوا من السكين والفضيحة .
أنت شيطان . قال ذلك ورمى بظهره إلى الخلف . سألته .. هل تعرف الشيطان ؟ استطرد خالد يحكى عن الشياطين والأبالسة ، يصف ويقول بينما كان هناك شيطان صغير أراه يشحذ له الكلمات ويرتبها ثم يضعها على لسانه وانفجرنا ضاحكين .

انتظرت هذا اليوم طويلا . الآن نستطيع أن نشترى المخدر ، ونحقن أنفسنا بلا بشندى، ولن يتحكم فينا إنسان بعد ذلك أبدا ، الطريقة مضمونة وقد أتت بنتائج فورية .
بشندى هز رأسه موافقا أن يبيع المخدر ، ولكنه طلب ضعف الثمن ، ولم نكترث فقد كانت حصيلة الليلة كبيرة . واشترينا ما يكفينا لخمسة أيام قادمة .
فرحنا بالغنيمة ، ومعنا سيارة ، ولدينا النقود والمخدر ، ولا ينقصنا إلا الطعام ، واشترينا ما نشتهى ، وصادفنا ماهر صديق قديم لخالد ، وقبل أن يتسول منا ضممناه إلينا وهو لا يصدق الوليمة التى هبطت عليه .

انطلقنا بالسيارة نسابق أنفسنا على طريق السويس ، وتوقفنا فى مكان متسع بعيدا عن الطريق ، وبدأنا التهام الطعام ، وأدرنا مسجل السيارة لنسمع ألذ الألحان ، ونحكى عن بشندى الذى سوف يفتقدنا الليلة وعدة ليال قادمة .

تقمصت شخصية بشندى لما آن الأوان . أبطئ ، وأتوقف ، أو أتمهل لأنظر فى عيونهم بصفاقة كما يفعل ، فيشتمونى ، وأضحك .

حقنــت خالــدا وماهــرا ورأيــت عيونـــهم تلمع من الفرحـــة والنشوة . الآن أتى دورى ، أسحب العقار من الزجاجة بالحقنة سنتيمترا واحدا ثم رأيته غير كاف . أزيده واحدا آخرا . أتحلب ريقى انتظار لنشوة مــمتازة أصنعها لنفسى وأسحب كمية إضافية لتكون سعادتى مضاعفة .
ربطت فــوق الكوع ، وربّت فوق الوريد أحفزه أن يظهر . أضم قبضتى وأفردها . أخيرا تمكنت منه . أضع إصبعى فوق العرق أختبر صلابته . أتناول " السيرنجة " أغرس السن فى لحمى وينطلق " سرسوب " الدم فى المحقن فأرخى الرباط وأبدأ ضغط المكبس ، وينساب العقار.
آهة طويلة ناعمة تخرج منى عندما يصل الأثر إلى مخى . أكمل الجرعة وأسحب الإبرة . تخرجن نقط الدم تسيل على ساعدى . أضغط بإصبعى مكان الوخزة ليتوقف الدم .
خالد وماهر يبتسمان فى هدوء عرفانا بما قدمت لـــهما الليلة وأغنية قديمة وجدتـــها على لسانى .. " فى إيدى سلام .. وعينى سلام .. وفى قلبى سلام " دندنت بـــها فأثارت إعجابـــهم ، وأعيد المقطع مرات معجبا بصوتى الذى بدأ يخفت ورغم أنى أحاول الاستمرار.. لا أستطيع .

لماذا تبعدنى حنان هذه الأيام . لا بد لها عشيقا تخوننى معه فاستغنت عنى . كانت فى البداية تظهر أنها تتألم كثيرا لسهرى خارج البيت وترجونى أن أبقى وتفعل ذلك بصوت حزين ، ثم تغيرت نبراتها تتوسل فى دلال ، ثم أصبحت تقف على الباب تتباكى أنها ستكون وحيدة طول الليل وتمضغ كلماتها بسرعة مشيرة إلى نفاد صبرها ، ثم تبتسم بعد ذلك .
أكاد أتذكر أنى يوما عندما رجعت إلى البيت رأيتها تضاجع عشيقها وضوء الوناسة يلقى عليهما أشعته الواهية ، فقامت من فورها تأخذ بيدى إلى الحجرة المقابلة ، وفاتنى ساعتها أن أتفرس فى وجهها .
سأعود وأحكى لها عما رأيته فى تلك الليلة البعيدة ، وأطمئنها فإن الكثيرات سبقتها إلى ما هى فيه بعد أن قادتها شهوتها إلى ما تفعله .
سأقول أن بعض البشر يستطيعون السيطرة على شهواتهم وأهون عليها فإنى غير غاضب ولا ناقم ولن أطلع أحدا على سرها .
أعرف أن الحب الذى ينتهى بصورة طبيعية جميل للغاية ، لذا سأطلب منها أن تستدعى أهلها وسأطلقها بصورة طبيعية ليتزوجها عشيقها بصورة طبيعية أيضا ، ولكن يجب أن تصر على رغبتها فى الطلاق وسأرفض ذلك فى البداية ثم أرضى بعد ذلك .
أما إذا لم توافق فإنى سوف أعود ومعى مسدس وخنجر وأدخل عليهما دخولا علنيا ، فأراه يقبلها فى شوق وأصابعها تمسح على شعره ، ولن يحسا بى لأنهما سيكونان خارج الزمن فى عالم خاص . سيؤلمنى الواقع الذى أره وسيكون شديد الوطء علىّ ، وتتملكها المفاجأة فسوف يرتعدان عندما يريا السلاح معى . ساعتها سأفرض كلامى ويرضخون .

حاولت القيام وكدت أقع لولا استندت على جدار امتص صدمتى كالبالون فرفعنى للناحية الأخرى، واهتزت ركبتى بارتعاشات لا إرادية مفاجئه خفت أن أسقط بعدها ، وتمالكت نفسى حاملا تاريخا قديما من السوءات والكبت والفقر والظلم ، ومن الحرمان النكد والعجز والصبر على عجز الآخرين .
انفجرت فى معدتى آلام . أعرف أنها مقروحة من عادم السيارات وزعيق زوجتى ، وإهانات رؤسائى، واحتقار الناس لى . شغلنى نشاط قلبى الذى لا يهدأ ولا يكف أبدا ولا يخضع لسيطرتى .

تركبنى رعدة كما لو كانت صاعقة حطت فوقى ، رجفة تشملنى مترددة كتيار كهربائى متقطع ، ينفذ فى جسمى حلزونيا يبدأ من أطراف أصابع يدىّ وقدمىّ ويمتد إلى أعلى، وانقباضات تفاجئنى تلم أطرافى الى بدنى ، أو تدفعها بعيدا ، واحدة منها دفعت الطعام من معدتى خارجا فى دفعات أصاب رذاذها خالدا وماهرا فبصقا فى اتجاهى .
مذعورا ألف حول نفسى واقفا وجالسا ، أثيـــر حبات الرمال فتدخل عينىّ وفمى وأنفى . ينتابنى دوار مخيف ، رأسى تميل .. أعرق .. أغرق فى عرقى .. تغادرنى قوتى وحركتى وصوتى .

عيناها تقولان أنت لست ذكيا بما يكفى ، ولا تفهم إشاراتى ، فقط تحتاج لابتسامة حلوة، وكأنما تطل داخل رأسى لتفهم بسرعة ، ثم قالت سوف أنساك غدا .

أرى شبح خالد يأتى من بعيد ، فيلطمنى على وجهى مرات ولا أحس لضرباته وقعا. تصغر المرئيات ، وتتداخل مبتعدة ، وتقترب لتجثم على صدرى ، فيغمرنى سكون .
أنتقض وأحس حركة يدى مفاجئة . رأسى تخبط ركبتى ، والرمال تغمرنى ، وأروح بعيدا . أفقت لحظة شعرت فيها بخنجر يغوص فى القلب ، وتجحظ عيناى ، وتتوقف شهقتى ، وتتلاشى دقات القلب وتغيب المرئيات .

أخاف العمى . سيكون ظلام قبرى أهون منه . لا .. لا أحب أن أموت ، فإن ظلام القبر وحيد بارد ، خانق رطب لن أتحمله ولن أستطيع لو حاولت .
أكره هذه القبور . لن يكون لى قبر ، فإنى ساعتها لن أرى الذين احبهم ، ولن أعرف ماذا يجرى خارجا . من هم الذين أحبهم ؟ هاتف أوحى لى أن أتكفن بالصبر مؤقتا ، ثم أنى سوف أنام بعد ذلك نومة أبدية حتى يوم الدين .

حدث شئ عجيب . انقسمت فى اللحظة . رأيت نفسى تنقذف خارجا لتكون فى الجوار ، والروح تتشبث بينما يصعدونــــها بعنف فلا هى انفصلت ولا هى بقيت ، فكانت معلقة فوق الجسد الخامد على الرمال .

ماهــر يقول إنـــها أزمـــة ، وسوف تنتهى بسلام ، وخالـــد اصفـــر وجهه يقول " أبدا .. ده مات ، الجرعة كبيرة .. أصله طماع وأخذها كلها .. كان يخلى شوية لبكرة بدل ما يعكنن علينا الليلة الحلوة دى " . يضع خالد أصابعه على الرسغ يتحسس النبض . يضع رأسه على الصدر يتسمع الدقات . يشعل عود الثقاب ويقربه من الأنف مراقبا اللهب الذى لا يتذبذب ، ثم ترك كل ذلك ليجلس واجما يحدث نفسه " خلاص مات ، مصيبة ، وح نروح السجن إن شاء الله .

خالد الجبان سحب ماهرا إلى السيارة وفرا معا ، والجسد تركوه مطروحا والروح تحوم حوله فى وجل تحاول الوصول إليه ، وأنا نفسى لأعرف ما صرت عليه ولا كيف أدخل فى الجسد ثانية ، وأحببت أن أندمج ، ولم أفلح ، وأيقنت أنى فقدت القدرة ، وأن الله غاضب علىّ من زمن بعيد .

أربعة أيام تضرب فيها الشمس الجسد الذى ينتفخ متورما ، ثم انفجرت البطن وانفتح جدارها من مكان عملية الفتق القديم ، وخرجت بعض الأمعاء ، وتناثرت إفرازات ، فتجمع النمل والهوام والذباب ، وانبعثت روائح فجذبت القوارض ، وبعدها الكلاب .

فجأة توقفت إلى جوار الجثة دورية الشرطة ، ونقلوها الى المشرحة ، لتبقى فى الثلاجة أياما يخرجونـــها ويقطعون منها أجزاء يفحصونــــها .
انطلقت نفسى من سماواتها المشتعلة إلى بيتى ، فوجدتـــهم بعد أن أخطروهم بمكانى يكنسون أدواتى وأشيائى وثيابى فى قرف ، والجيران يتجنبونـــهم فى شفقة وشـــماتة . كانت ملامح زوجتى منبسطة تنم عن السكينة والارتياح ، والأولاد لاهون لا يعنون بشىء ، وكأن الجميع ارتاحوا بعد الخبر الذى وصلهم عن مكان الجسد .

***

عصام الصاوى

لمســـــــــة

أصعد إلى السرير الكبير متشبثة أجاهد للوصول إليه . أتسلق جسده الكبير. يســاعــدنى فأحيــط خصــره بســاقىَّ وأضم وجهه بكلتا يدىَّ . تطالعنى عيناه الواسعتان فى شوق . يبتســم مرحبا فــأرى أسنانه الكبيرة وشاربه الضخم يدغدغ خدى . أرفع عينىَّ لأرى شعرات صدره الكثيفة . أداعبها وأشد إياها بشقاوة . يحتضننى ويهدهدنى فيحتوينــى.

يثقــل جفنــاى وأغمــض . أرى زهورا وفراشات وطيورا ملونة وحمامات تطير فوقى تتطلع إليها جراء وقطيطات جميلة تجرى حولها . وأناشيد لها موسيقى عذبة تنساب إلى أذنىَّ أسمعها.
تقـــول .. ستفســدها بهـــذا التدليــل.
يقـــول .. أحبها وأنتظر اليــوم كلــه لآخذهــا فى حضــــنى.
تقـــول .. ليــس هكـــذا ينامــــون.

يقبض على يدى الصغيرة بكفة الكبير . أعبر معه الطريق . حقيبة الكتب أحملها فوق ظهرى . نصل للمدرسة. يضع فى يــدى نقـــودا لأشتـــرى ما أريـــد.
تقـــول .. لا تعطهـــا كــل هـــذا ، يكفيـــها الأقــل.

تلكمنى صـــارخة. تضع المسطرة أمامهـــا. تشيـــر رافعة إصبعها أمام عينــــــىَ. أتلعثم ، أفقد القدرة . أرى الأرقام كلها علامات استفهام صعبة.
تقـــول .. ستكونى غبية مثلهم وتتحول إليه ، هذا لأنك تدللها دائما.

ينهـــرها بعنــف . يأخذنى بعيدا عنها . برفق يضع اللعب والأقلام والأوراق أمامنا . أجمع وأطرح وأكتب الكلمات وينتهى الواجب المدرسى سريعا . أغلق كراستى وأجلس فى حجره أمام فيلم المساء بينما تتملظ باسمه أن استجبت إليه.

يناولنى حبة الكمثرى . أحس أنه يحملنى إلى السرير. أدس أنفى فى رقبته . أرجوه أن يبقى إلى جوارى . يضع رأسه على الوسادة . أستدير وظهرى أدفعه فى صدره العريض . تحيطنى ذراعه القوية . يغمرنى الرضا والأمان.

حبــات الرمل تتعلق بشعر ساقية . أمسح بيدى عليها. يأخذنى معه نحو الماء . أتردد . تحذره مما يفعل . يحملنى على ظهره ويدخل بعيدا فى البحر . أخاف ضربات الموج أن تسقطنى . يلفنى حوله . يحملنى فوق كفيه . أخبط الماء وأسبح . يصفق فرحا . نلعب سويا فى الماء وعلى الشاطئ . يبنى لى قصرا . يتركنى مع الأطفال . أراه تحت الشمسية يرمقنى ويلوح لى سعيدا .

يعود من السفر . يفتح ذراعية للقاء . أحــنى كتفىَّ وأضمهما إلى صدرى. يغمرنى الخجل . أرى ابتسامته واثقة . أسمعه يهمس لها . نروح لمتجر الملابس . تشترى لى بعضها متذمرة . أسير رافعة رأسى مفرودة الكتفين مزهوة بأنوثتى الجديدة. أقبله فى عرفان.
تقول متحســرة .. أنها ظلت حتى الخامسة عشرة لاتعرف هذه الملابس ، وأنه هكذا يُضَيع حيائى عندما يجلب لى هذة الأشياء .

تصرخ فى أذنى وتسبنى . تشد شعرى بانفعال . يجلسنى أمامه . يصمت بعض الوقت . عيناى تراقب شعره الأبيض . عيناه تنظر إلى البعيد . يتحدث خافتا. قطرات عرق تنزلق فوق ظهرى .
يقول .. هذا الفتى سوقى لا يصلح لك . يبدو أنه فقير كذاب لا جذور له ، سوف يجعل أيامك حزينة دائما . يحيطنى بذراعيه كأنما يحمينى . ينظر فى عينىَّ . يطلب وعدى . أعرف أنى حلمه وأمله وشرفه . أعده ألا أخذله ثم يروح فكرى إلى حبيــــبى.

بهــدوء أدخل ملهــوفة أراه نائما بوجه شاحب وقد تهدل خداه. جلبابه الأبيض يحدد جسده الضعيف . أخال أنه يذوى الى داخله . يفتح عينيه المرهقتين بصعوبة . تتهلل أساريره لمرآى . يفتر ثغره فارغا إلا من بعض الأسنان. تخرج حروف كلماته متكسرة من بين شفتين جافتين . تكاد دمعتى تنزلق.
يتذكر غضبه فيحول وجهه . من سنوات تركته وحيدا بعدما رحلت . تغافلت عن رضاه وتزوجت من أحببت ولم آبــه بما سيكون . أيامهــا كان قويا وآثــر ألا يعاندنى فأشاح بوجهه وحنانه بعيدا.

الآن يفعلها ثانيه . أعرف أنه لا ينسى . أطمع أن يغفر لى .يدخل الطبيب ليحقنه. أفهم نظرته ألا أطيل الزيارة . أهز رأسى فى استسلام . زوجى إلى

جانبى أرى وجهه الشمعى لا يحمل عاطفة أو انفعالا . لم يره إلا هذه المرة . جاء عارفا أنها المرات الأخيرة المتاحة.

أتقدم ، أمد يدى ألمس كفه المتغضنـــة . يضم أصابعه فى عناد ويغمض . تطفر دمعة تنزلق إلى الوسادة . دمعاتى تنزل دافقة على خدىَّ . هــل حقــا فات الأوان. أحس أنه مازال قويا . يفتح عينيه . أتشبث بيده فترتاح بين كفى. تتواصل عيوننا وأيدينا فيبتسم . أحس أنه يسامحنى وتخرج نهنهاتى مسموعة . يربت على رسغى . تتوقف حركته . أرى عينيه مفتوحتين ثابتتين . يد تجذبنى وأخرى تشد الملاءة لتغطـــــى وجـــه الحبيب.
أخطف نظرتى الأخيرة لأحتفظ بها . يدى لا تزال بين يديه، ووجه زوجى يرنو إلى الباب يتوقع اللحظات القادمة. غلالة من الدموع تفصلنى ، ووجيـــب قلبـــى يتخافت . أرى على البعـــد طفلـــة تشبهـــنى تتســـلق الســـرير الكبير فى البيت القديم.

*　　*　　*

الصغيـــــــر

أسعى دائما للخير، إلا أن الشيطان يتمثل أمامى، يعرقل خطواتى ويزين مباهج الحياة. يدعونى لترك الفضيلة وأروح معه فى طريق لذيذ كله أموال وسلطة وأضواء وموسيقى وكل ما تشتهى نفسى.

أرى أبى رافعا إصبعا فى علامة تحذير، وأمى تنظر باكية إلى مصير لا أدركه تخوفنى. فأتعجب مما يفعلانه مدركا أنهما ماتا من زمن ومازالا يذكراننى صغيرا أحتاج إليهما. يجاذبنى الجانب الطيب منى فأتشبث بفضيلة أو مبدأ أو قدوة.

يبتعد إبليس عن فكرى، وتروح الصورة عن عينى، وأذكر أنى سأكون وحيدا عريانا فى مكان ضيق مظلم بارد أحاسب نفسى نادما ويحاسبوننى عما كان.

أتصاغر فى خشوع راهبا الموقف والغضب والعقاب. أهرع إلى الماء أتطهر وأدعو واستغفر راجيا الرحمة. أرى إبليس صغيرا يحبو فى اتجاهي فأبتسم واثقا وأرفع إصبعا فى علامة التحذير.

الكبيـــر

أجلس فوق الكرسى الدوار أمام المكتب العريض آمر وأشير وأحاسب والكل يطيعون فى احترام. حولى هالة رائعة مبهرة يصنعها حضورى القوى وشخصيتى الآسرة وملامحى الوسيمة المتميزة.

راح نصف شعرى الأسود فبدا فضيا، ونصف بصرى فوضعت نظارة، وسقطت نصف أسنانى، فأبدلتها بأخرى تبدو طبيعية بيضاء. أمشى بهدوء حتى لا تضطرب خطواتى فاستعنت بعصا أنيقة أكملت صورة بهية. بأناة أتكلم حتى لا يلحظوا أنى ألهث. إذا قلت فالحكمة والخبرة تسكت من يعارض منطقى واحتراما.

أرقد فوق السرير المعدنى ذو الملاءة ناصعة البياض، وستارة فوق النافذة تحجب النور الخارجى. بينما الموسيقى تنبعث من مذياع خفى، ورائحة المطهرات وعطور صناعية تملأ الحجرة. نسيم من هواء بارد ينبعث من فتحات المكيف بلا صوت يلامس البشرة الناعمة وأوراق باقات الزهور.إياك من التدخين ودسم الطعام والمكيفات. يقول الطبيب مبتسما إياك من الانفعال والإجهاد وتؤجل الأمور إياها.

تدخل الجميلة فى المساء تكاد تلمس الأرض مبتسمة، رافعة الحقنة فى يدها تداعبنى لتخفف ألم شكة الإبرة. ترتسم على الجهاز ذبذبات القلب المتلهف مع اللمسات الطرية الناعمة والآهات المسروقة فوق السرير المعدنى. تقفز الجميلة قبل أن تتورط. تظهر على الجهاز ذبذبات أقل ارتفاعا، وتنهدات متحسرة على ما لم يتم، ولهاث متقطع فى خفوت وابتسامة لم تكسر بعد.

أمد يدى تحت الوسادة وأقدم لها ساعة رقيقة أحضرها السكرتير فى زيارة الصباح. بابتسامة ودود متصنعة التعفف والرفض اللين تأخذها وتلبسها فى سعادة واضحة. تضع قبلتها فوق جبينى علامة الشكر. أقول أحس الآن

بالقوة. تشير إلى ساعتها أنها ستحضر لموعد الدواء التالى. أغمض عينىَ، يسرح فكرى فيما سيكون المرة القادمة. تتراءى خيالات وأفكار وكلمات.

تقول الجميلة لقد انتصف الليل. الآن موعد الدواء. أبتسم قائلا الآن موعدى، اعطني يدك. أحب لمستها. أضعها على صدرى فتميل لأجذبها نحوى. الذبذبات ترتفع إلى فوق. يدى تربت متعابثة. يديها تحيطنى فى دلال فأستعد لقبلة أتمناها.

طبيب الصباح يمر ليطمئن على مرضاه. يتوقف نظره عند خط أخضر طويل لا يتذبذب فوق شاشة الجهاز. ينادى الممرضة. تجذب الملاءة فوق وجه الرجل ذو الشعر الفضى والأسنان الصناعية بينما نظارته وعصاه إلى الجوار.

الرقـــــاص

أنطلق مع الصغار نلهو داخل فناء المنزل فى ليالى الصيف. أثناء عطلة الجامعة أتزعمهم فأوجههم للسينما أو المقهى ودائما إلى ضفاف النيل فى رحلة مسائية على صفحة النهر. تدفعنا الموسيقى العالية والأنفاس الزرقاء للضحك والتنطيط والرقص مع فتيات المركب الدائمات.

أدخل البيت على أطراف أصابعى. أجذب الغطاء فوق وجهى. يشده والدى قائلا لقد حانت صلاة الفجر. يؤمنى ثم يتركنى ليكمل نومه فأبتسم لطيبة قلبه. أهرع إلى سريرى مشتاقا.

يسألنى المحقق. لقد رأوك فى مكان الحادث، فمن كان هناك، ومن كان معك؟ أقول نعم، هذا صحيح. لم يكن موجودا سوى هذين الرجلين. أحبس الكلام. لا يليق أن أشى بصديقى أو أشهد ضده.

يحكم القاضى عليهما بالإدانة والسجن أربع سنوات. يهنئنى الصديق الذى فلت ونحتفل بإنزياح الخطر. يقول إن للصديق شهادة زور وقد كنت رجلا. أرد هكذا تكون الشهامة.

أستيقظ مبكرا لأستحم وأصحب أولادى إلى المسجد لصلاة العيد. نعود لنحر الضحية. أسمى الله، وأكبر وأدفع يدى فى جيبى لأعطى السائلين نقودا والآخرين لحما لأكون قدوة للأولاد.

أوقع على محاضر الجرد وعقود التوريد وفواتير المشتريات وأحاسبهم جيدا ليرتفع رصيدى فى البنك دون أن أخطئ فتكون الفضيحة. أعرف أن الله حليم ستار.

أنظر إلى الزجاجة أقدر الباقى فيها لأطلب أخرى عند حضور الأصدقاء والصديقات، فمازال الليل طويلا والشراب عماد السهر.

أستلم جواز السفر فى صالة المطار، والحزام الجلدى يحيط بشكير الإحرام، ويدى تمسك بالمسبحة. عينىَ تتراوح بين زوجتى والأخرى الجميلة فى صالة السفر.

لا يفوتنى عند العودة أن أروح إلى السوق فى صالة الوصول لأشترى لزوم سهرة المساء فإن الصنف جيد مضمون والجمارك قليلة.

تركت الأيام آثارها على وجه وجسد أم الأولاد. هذه هيفاء رشيقة متطلعة أريدها مرات فى الحرام. أفكر أن يكون بعدها الحلال بالزواج. أترك الفكرة كلها عندما تلوح جميلة صغيرة أخرى لأجرب مغامرة لذيذة جديدة والله غفور رحيم.

ينزل الماء على جسدى. أدعكه باللوفة والصابون لأغتسل جيدا. أريد أن أتطهر بعد ذنوب الأمس. اليوم لابد أن أرافق الأولاد إلى صلاة الجمعة ثم نتناول الغذاء كلنا فى الحديقة. أعرف أنهم ينتظرون اليوم منذ أسبوع.

أقسم بالطلاق مؤكدا. أستلم المبلغ مبتسما فقد صدق المغفل وأعطانى النقود. بذلك أكون رابحا خمسة آلاف جنيه فوق ثمن السيارة التى بعتها. أتناسى أنى أحلف هكذا كل مرة أبيع فيها أو أشترى. أكون دائما رابحا للمال فأضحك قائلا الحمد الله كسبت اليوم أكثر من السابقة.

أجلس فوق الكرسى المتحرك. زوجة ابنى تدفعنى أمامها إلى الشرفة لأحظى بنصيب من شمس الشتاء. يروح فكرى لأيام كنت أستطيع أن أقف وأمشى وحدى، ثم أنزل السلم حتى السيارة فأقودها إلى الوكر. تتوالى الصور لأبتسم ثم تتوتر ملامحى. أصرخ مناديا أن أدخلونى. أحاول قطع الأفكار الصعبة. تنزلق الابتسامة من شفتى السفلى فتقع بلا صوت ولا بريق.

* * *

شادى الكلمات

أجلس فوق الكرسى المتحرك. زوجة ابنى تدفعنى أمامها إلى الشرفة لأحظى بنصيب من شمس الشتاء. يروح فكرى لأيام كنت أستطيع أن أقف وأمشى وحدى، ثم أنزل السلم حتى السيارة فأقودها إلى الوكر. تتوالى الصور لأبتسم ثم تتوتر ملامحى. أصرخ مناديا أن إدخلونى. أحاول قطع الأفكار الصعبة. تنزلق الإبتسامة من شفتى السفلى فتقع بلا صوت ولا بريق.

* * *

(من قصة..الرقاص)

المحتويات

اهداء
أول الكلمات
١- وأنا شاهد
٢- آنست ونورت
٣- ليلة والسلام
٤- متسائلة العينين
٥- تشابه أسماء
٦- أنيسة الجليس
٧- رحلة الصفر
٨- محور ضياع الفرص
٩- قبلات لا تنسى
١٠- عندما تحلم راوية
١١- كاملة وسليمة
١٢- أ بدا
١٣- زوجتي الطيبة
١٤- كوتشينة
١٥- زلزال هذه المرة
١٦- ديك الهـــــواء
١٧- إبتسامة غريبة
١٨- مرفوعة سنتين
١٩- تمام الكمال
٢٠- أستاذ رانية
٢١- وعليكم النسيان
٢٢- لمســـة
٢٣- الصغير
٢٤- الكبير
٢٥- الرقاص
٢٦- شادى الكلمات

* * *

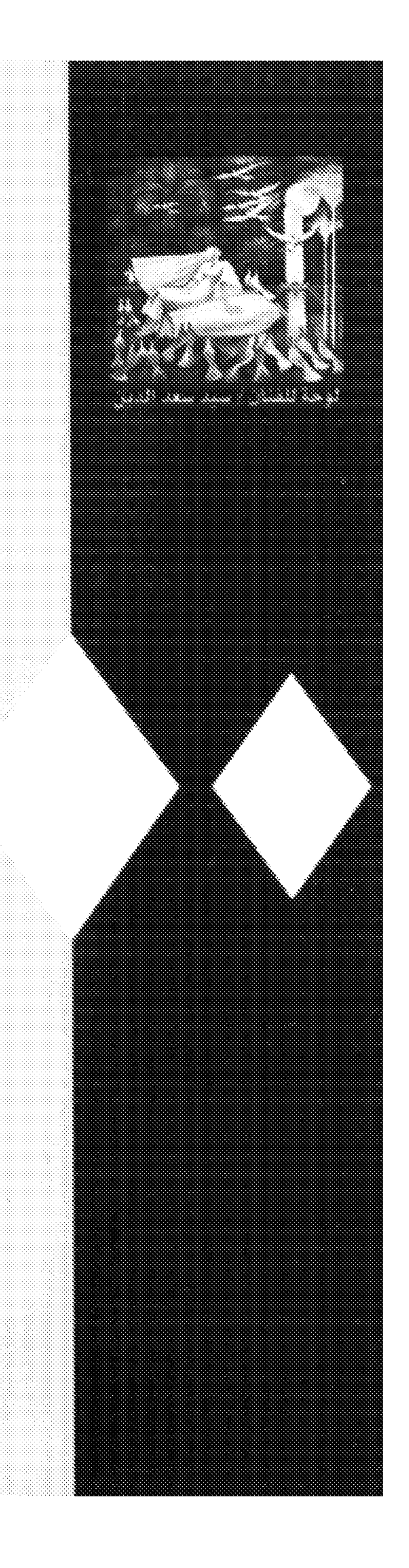
للكاتب

سور القاهرة الوردى	قصص	الهيئة العامة للكتاب
أجنحـــــــة البـــوح	قصص (م)	جماعـــــة الجيـــــل
٥٠ قصـــة قصيـــرة	قصص (م)	كتـــاب الجمهوريـــة
أحلــــى ١٠ قصص	قصص (م)	كتــــاب اليــــــوم
اللعب بالديناميــــت	قصص (م)	كتــــاب اليــــــوم
الرقص على الألغام	قصص	كتــــاب اليــــــوم
رقصة الجنـــــرال	قصص	مدبولى الصغيـــــر
حـــوار مع جنيـــة	قصص	الكتاب الفضــــــى
كنـــوز شمائـــــل	قصص	اتحاد كتاب مصر
فى محلة الأطهار	قصص	الهيئة العامة للكتاب
عندمـــا تحلم راوية	قصص	المجلس الأعلى للثقافة

جوائـــــــــــز

القصة القصيرة	دارأخبار اليـــــــوم	١٩٩٧
القصة القصيرة	المحاربين القدماء	١٩٩٩ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣
القصة القصيرة	القوات المسلحـــــــة	٢٠٠١

* * *



انطلقت من سجنى الذى اصطنعته لنفسى خوفًا من الأقاويل ، ثم رحت إلى كل مكان فى كل وقت لأروى ظمأى للحياة بالطريقة التى أفضلها وليست التى يرسمونها لمن فى مثل حالى.أهلى والجيران والزملاء هم كل من حولى، هم الذين يجب أن أخاف انتقاداتهم وألسنتهم وأفكارهم المنحرفة، ثم جعلتهم أخيراً خارج دائرة اهتمامى مادمت راضية عن نفسى، فتكلموا قليًلا ثم انشغلوا بمطلقة أخرى تسكن فى الجوار فنسونى.

تصميم الغلاف: عماد عبدالبصير